التحقـق من تحقيـق « كتـاب العـين »

للأســتاذ الدكتـور شـربل داغــر

حظ تحـقيق « كـتاب العـين » ، سـجال يعـود إلى ظـروف تـأليفـه ·مـن
به الباحـثان العراقيـان ، الدكتور جهة ، وإلى أسـبـقيته الحـاسمة والمتـميزة
ىدى المخـزومى والدكتور إبراهيم فى التـأليف المعجـمى العربى مـن جـهة
، بما يستحـقه من عناية المتابعين ثانية . لن نستـعيد تفاصيـل هـذا الـسجال
النقاد والعلماء ، على الرغم من أو حججـه ، فالشواهد القديمـة والتآليف
ا الحـدث الكبير فى تاريـخ اللغة الحـديثـة فى هـذا الشـأن عـديدة [1] ،
وسنكتفى بتبيين أسـباب الخلاف وبواعثه ،
تمـلك العـربية اليـوم معـجمـها وهى على مـا تبـيـنا ، تعـود إلى ظروف
تأليفه فى المقام الأول .
, وصلنا فـعـلاً كـتـاب الخـليل
» فى نسختـه الجديدة المطبوعة ؟ ١ - « كتاب العين » - المشكلة :
, تنهى عـمليـة التـحـقـيق هذه قد يكون مفيداً ذكر الرواية التى ساقها
ذى شـارك فيـه العلماء القـدامى ابن النديم فى « الفـهرست » عن « كـتاب
، حول نسبة هذا الأثر الفريد ؟ العين » ، وهى التالية : « قرأت بخط أبى
الفتح بـن النحوى صاحب بـنى الفرات ،
الغ إذا قلنا : إن « كتاب العين » وكان صدوقاً منقراً بحاثاً - قال أبو بكر بن
ـالة سجـاليـة فى تاريخ التـأليف دريد:وقع بالبصرة «كتاب العين» سنة ثمان
والمعجـمى العـربى ، منذ الخبـر وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان،
تأليـفه حـتى أيامنا هذه ، وهو وكـان فى ثمـانية وأربعـين جـزءاً فـباعـه
بخمسين ديناراً ، وكنـا نسمع بهذا الكتاب

كن العودة إلى كتاب « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الـثالث » للأستاذ محمد حسين آل ياسين فاذ فكرة وأسعة ومفيدة عن هذا السجال ، ص ، ٢٣٠ - ٢٤٥ .

أنه بخراسان فى خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق » [1] . يتضح من هذه الرواية أن الكتاب لم يظهر فى البصرة إلا فى العام ٢٤٨ هـ . ، أى بعد مرور نحو سبعين سنة على وفاة الخليل (فى ١٧٥ هـ) دون أن يعنى هذا أن أهل البصرة لم « يسمعوا به » سابقاً .

أثار هذا « الظهور » المتأخر الجدال حوله ، وحول نسبته للخليل . ذلك أن لهذا المعجم راوية واحدا ، هو الليث ، تلميذ الخليل ، فكيف حدث أن تلاميذ الخليل الآخرين ، مثل النضر بن شميل ومؤرج ونصر بن على وأبى الحسن والأخفش وأمثالهم ، لم ينقلوه عن الخليل أو لم يتحدثوا به ؟ إلا أن هذا الخلاف يتصل ، على قيمته التاريخية ، بمعرفة ما إذا كان الخليل هو واضع الكتاب برمته، أم أنه « رسم » خطته وحسب ، ووضعه الليث من بعده ، أم أن الخليل وضع رسم الكتاب و « حشا » قسماً من متنه ثم أكمله الليث ؟

هنالك إذن ، مشكلة نسبة الكتاب، ومشكلة أخرى لا تقل قيمة عنها ، وهى مشكلة النسخ والمخطوطات التى وصلتنا من « كتاب العين » . والتى أثارت مصاعب جمة عند المحققين الكثر الذين أقدموا تباعاً على تحقيق هذا الأثر الفريد . تناوب غير محقق على تحقيقه ، من دون أن يفلح منهم أحد غير المحققين العراقيين ، الدكتورين مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ، فى إخراج الكتاب كاملاً ، ووصوله إلينا . وحكاية تحقيق هذا المؤلف لا تقل تشويقاً وصعوبة عن نسبة الكتاب نفسها .

ففى سنة ١٩١٤ أقدم الأب أنستاس مارى الكرملى على طبع فصلة من « كتاب العين » فى مطبعة « دار الأيتام » ببغداد ، ثم توقف الطبع بسبب قيام الحرب العالمية الأولى . ثم تصدى فى سنة ١٩٦٧ الدكتور عبد الله درويش للمهمة نفسها ، فأصدر الجزء الأول منه فى « مطبعة العانى » ببغداد ، ثم توقف عن إكمال الطبع بعد أن تنبه لبعض المآخذ الواردة فى تحقيقه . بعد ذلك سعى الشيخ محمد حسن آل ياسين إلى تحقيق الكتاب فنشر مقدمته فى سنة ١٩٧٧ ، فى العددين

---

(١) – ابن النديم : « الفهرست » ص ٦٤ .

التاسع والعاشر من مجلة « البلاغ » ، ثم توقف عن إكمال ذلك بعد تكليف وزارة الإعلام العراقية للدكتورين مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى بتحقيق الكتاب [1] فما مشكلة الطبعة المحققة ؟

كابد غير محقق مشاكل تحقيق هذا المعجم بسبب تأخر المخطوطات الزمنى من جهة ، واشتمالها على أغلاط وزيادات عدد من النساخ ، من جهة ثانية . فمخطوطات الكتاب ، التى عمل عليها المحققان ، تعود فى أقدمها إلى سنة ١٠٥٤ هـ ، أى أنها مخطوطات متأخرة .

كما لاحظ الدكتور الفرطوسى فى دراسته « محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين » فى سنة ١٩٨٧ ، وجود مخطوطات أخرى من « كتاب العين » أشار إليها الباحثون فيما مضى ، مثل بروكلمان والدكتور صلاح الدين المنجد ، دون أن تصلنا على ما يبدو ، دون أن يشير إليها المحققان .

وكانت كلما صدرت محاولة لتحقيق هذا الكتاب يتناوب عليها الدارسون بالنقد مبينين أخطاءها وعثراتها ، حتى أن الدكتور درويش توقف عن تحقيقه للمعجم ، كما أسلفنا القول ، بسبب من هذه المصاعب . ماذا بإمكاننا أن نضيف على هذا النقاش حول المشكلتين ؟ هل نقوى على زيادة حجج (أى على دحض بعضها أو تصحيح بعضها الآخر) فى هذا السجال ، الذى أفاض فيه القدماء ولا يخلو منه أى كتاب عربى حديث عن النحو أو المعاجم ؟

يمكننا أن نثير السؤال ، بداية ، ذلك أن هذه الحجج - فيما عدا القليل منها - تقوم على الظن والتخمين ، ليس إلا : فهذا « يربأ » بالخليل أن يقول هذا القول ، وذاك يجد أن « التخليط » (على ما يعتقد وجوده فى المعجم) لا يمكن أن « يُنسب » للخليل ، إلى غير ذلك من « التجاذبات »

---

(١) - استقينا هذه المعلومات من دراسة الدكتور صلاح مهدى الفرطوسى « محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين » المنشورة فى « مجلة المجمع العلمى العراقى » ، صص ٢٤٢ - ٢٦٩ .

ونجدها أيضاً فى كتاب آل ياسين المذكور أعلاه وكان الشيخ محمد حسين آل ياسين قد تنبه عند نشره لمقدمة «كتاب العين» لهذه المشكلة ، فشدد فى عنوان دراسته على أنه نشر المقدمة « فى أرجح نصوصها » ، مجلة « البلاغ » بغداد ، العددان التاسع والعاشر فى ١٩٧٧ .

التى أصابت ولا تزال تصيب « كتاب العين » . فما حقيقة الاختلافات هذه ؟

وجدنا ، بعد مراجعة الأجزاء الثمانية من « كتاب العين » المحقق ، والسجال النقدى الدائر حوله قديماً وحديثاً ، أن أصناف الاختلافات ثلاثة :

١ - تبين الروايات المختلفة التى تقع فى أساس ما وصلنا من « كتاب العين » .

٢ - تبين حال المادة اللغوية فى « كتاب العين » .

٣ - تبين نسبة الكتاب إلى الخليل ، أو الليث ، أو لهما ، أو مع غيرهما .

بدا لنا ضرورياً ، قبل الشروع بمراجعة الكتاب محققاً ، أن نعود إلى النسخ والروايات التى عوَّل عليها المحققان العراقيان ، ومقارنتها بما هو معلوم أو متوفر من نسخ وروايات أخرى .

٢ - مراجعة الروايات :

عاد المحققان العراقيان إلى مخطوطات متأخرة ، هى التالية :

- نسخة السيد حسن الصدر ، ويعود تاريخ كتابتها إلى سنة ١٠٥٤ هـ ، وجعلها المحققان « الأصل » ، « لأنها أقدم النسخ الثلاث وأقلهن خطأ أو تصحيفاً » .

- نسخة طهران وهى موجودة فى مكتبة مجلس النواب ، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٨٧ هـ .

- نسخة مكتبة المتحف فى بغداد ، ويعود نسخها إلى سنة ١٣٥٠ هـ .

النسخ « متأخرة » ، كما أسلفنا القول . كما أن ناسخها لا يوردون مصادرها التى نقلوا عنها ، فيما عدا إشارة أوردها ناسخ النسخة الثالثة ، محمد بن الشيخ الطاهر المعروف بالسماوى فى النجف ، ويقول فيها: إنه نقل عن «نسخة كثيرة التحريف والتصحيف قاسيت فيها عرق القربة » ، دون أن يعين تاريخها إلا أننا نجد فى النص المحقق ما يفيد عن رواية المخطوط : « قال أبو معاذ عبد الله ابن عائذ : حدَّثنى الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب» (١) . إلا أن الباحث محمد حسين آل ياسين توقف وتبين خمس طرق أخرى وصلت بها رواية « العين » عن الليث ، وهى الطرق التالية :

---

(١) فى كتاب العين » ، ص ١/٤٨ .

١ - طريق شمر بن حمدويه (-٢٥٥هـ الذى رواه عن محارب، عن الليث) ،

٢ - طريق ابن دستوريه (- ٢٨٥ هـ الذى أخذه عن حفيد الليث،عن الليث) ،

٣ - طريق أحمد بن فارس (- ٣٩٥هـ ، الذى أخذه عن على بن إبراهيم القطان ، عن أبى العباس أحمد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق ، عن بندار بن لزة الأصفهانى ومعروف بن حسان ، عن الليث) .

٤ - طريق أبى على الغسانى (الذى أخذه عن الحافظ أبى عمرو بن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضى منذر بن سعيد ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوى ، عن أبيه ، عن أبى الحسن على بن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث) .

٥ - طريق ابن خير الأشبيلى (- ٥٧٥ هـ ، الذى أخذه عن أبى الحسن يونس بن محمد بن مغيث ، عن القاضى أبى عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء عن أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، عن القاضى منذر بن سعيد البلوطى ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن الوليد المعروف بولاد التميمى النحوى ، عن أبيه محمد بن الوليد ، عن أبى الحسن على ابن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث) .

وصلتنا، إذن ، من هذه الروايات [1] الطريق الأولى ، طريق أبى معاذ عبد الله ابن عائذ التى عمل عليها المحققان العراقيان . ولكن ، ألا نجد ، والحالة هذه فى المظان مواد عائدة إلى الروايات الأخرى ؟

وردت فى عدد من المعاجم العربية القديمة نُقُولٌ عِدَّة عن « كتاب العين » ، كما فى « التهذيب » للأزهرى أو فى «لسان العرب» لابن منظور وفى غيرها ، وقام المحققان بمقارنة هذه النقول مع النسخ التى اعتمدوا عليها ، ما عزز الثقة بطبعتهما المحققة .

هذا ما قمنا به بدورنا ، مع معجم لم يتناوله المحققان بالمراجعة، وهو « مقاييس

(١) أفاض الباحث فى تبيين سند الرواية فى كتابه الموسوم بـ « الدراسات اللغوية عند العرب » ؛ ص ٢٣٠ ٢٣٤ ، كما رسم « شجرة » تبين طرق هذه الرواية .

اللغـــة » لابـن فـــارس (- ٣٩٥ هـ) . ووجـدنا أن هذه العـودة نافعـة ، لأن ابن فارس يصرح فى بداية معجمه بتعويله على نسـخة من « كـتـاب العين » وصلتـه عن طريقين آخرين ، من الطرق الستة المعزوفة لـ « العـين » ، وهما طريقـا بندار بن لزة ومـعـروف بن حسـان : فـأعـلاها (أى المعـاجم الـعـربية) وأشـرفـها كـتـاب أبى عبد الرحـمن الخليـل بن أحمـد ، المسمى « كـتـاب الـعـين » أخـبـرنـا به على بن إبـراهـيم القطان ، فـيمـا قرأت علـيه ، أخـبـرنا أبو العـبـاس أحـمـد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لزة الأصـفهـانى ، ومعـروف بن حـسان عن الـليث ، عن الخليـل » [1] . أى أن مـقـارنة مـــادة « مـقاييس اللغـة » المأخوذة من « كتـاب العين » بالمادة الواردة فى طبعة « العين » المحققة تمكننا من زيادة الوثوق بهذه الطبعـة ، وتخفف بالتالى من الهوة الزمنية الواقعة بين النسخ « المتأخرة » التى اعتـمد عليـها المحقـقان العراقـيان ، ونسـخة ابن فـارس التى تعود إلى القـرن الهـجرى الرابع على الأقل . فـما كـانت الخطة المعتمدة ؟

عدنا إلى المـداخل اللفظية فى مـعجم ابـن فـــارس ، مكتفين بمـراجـعة نقـول « العـين » الواردة فـى جـزء وحـسب من أجزائه الستة ، هو الجزء الأول ، وقارناها بما يقابلها فى المعجم الخليلى المحقق . فما كانت حصيلة المقارنة ؟

يمكننا القول ، فى صورة إجـمالية ، إن حصيلة المقـارنة أتت إيجـابية . فغالب ما ينقله ابن فـارس عن الخليل مـوجود فى « كـتاب العـين » فى طبعـته المحـققـة . ولتبيان ذلك سنقدم بعض الأمثلة :

- ينقل ابن فارس عن الخليل التعريف التالى : « الألل والألالان : وجها السكين ووجها كل عـريض » (ص ١٩) ، ونقرأ فى « العـين » التعـريف نفسـه : « الألل واللألان : وجـها السكـين ، ووجهـا كل شىء عريض » (٣٦٢/٨) .

- نقـــرأ فـى المدخل اللـفظى « أُمٌ » الدلالات التالية المأخوذة من «كتاب العين» حسبـما يوردها معجم ابـن فارس : « قال الخليل : كل شىء يُضَمُّ إليـه ما سـواه مما

---

(١) « معجم مقاييس اللغة » لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد بن هارون ستة مجلدات ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ ، إلا أن تاريخ طبعته الأولى يعود إلى ستة ١٣٦٦ هـ .

يليه فإن العرب تسمى ذلك الشيء أُمّاً. ومن ذلك أُمُّ الرأس وهو الدماغ » (ص٢٢) ، وهو ما نقع عليه فى كتاب الخليل : « اعلم أن كل شيء يضمُّ إليه سائر ما يليه يُسمى ذلك الشيء أُمًّا . فمن ذلك : أم الرأس وهو : الدماغ » (٤٢٦/٨) .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، وهى ترد فى ما يزيد على ٢٠٥ مدخلاً لفظياً فى الجزء الأول من « مقاييس اللغة » ، لكن ابن فارس لايورد فى بعض الأحيان المادة المنقولة حسبما نجدها فى طبعة « العين » المحققة ، إلا بعد أن يجرى عليها فى بعض الأحيان شيئاً من التعديل الصياغى ، كما نتبين ذلك فى هذه الأمثلة :

- يفيد ابن فارس فى المدخل اللفظى «أزّ» : « قال الخليل : الأزُّ حمل الإنسان الإنسانَ على الأمر برفق واحتيال » (ص١٣) ، وهو ما نقع عليه فى « العين » على هذه الصورة : « الأزُّ : أن تحمله على أمر برفق واحتيال حتى يفعله كأنه يزين له » (٧ / ٣٩٨) .

- يفيد ابن فارس أيضاً : « قال الخليل : الأزُّ غليان القدر » (ص١٣-١٤) وهو ما نجده فى « كتاب العين » فى القول التالى : « وأزَّت القدر أزيزاً ، وائتزت اتزازاً » (٨ / ٣٩٨) .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، إذن ، إلا أنها لا تفيدِنا الشيء الكثير ، سوى أن الاختلافات طفيفة للغاية مما لا يحسب له أى حساب فى طرق التأليف القديمة ، حيث كان النساخ لا يتأخرون أحياناً عن استعادة النقول فى صورة صياغية مخالفة بعض الشيء . إلى هذا ، فإن « مقاييس اللغة » لا يستعيد وحسب المتن التعريفى لعدد من الألفاظ ، بل الشواهد الشعرية المتصلة بها فى « كتاب العين » .

كما وجدنا فى الجزء الأول من « مقاييس اللغة » معطيات أخرى تؤكد التشابه (حتى لا نقول التطابق التام) بين روايته عن « كتاب العين » والرواية الأخرى المدرجة فى طبعة « كتاب العين ». يؤكد ابن فارس فى غير مدخل لفظى من المجلد الأول أن هذا اللفظ أو ذاك «مهمل » فى « كتاب العين » ، وهو ما نجده مهملاً فعلاً فى الطبعة المحققة :

- يفيد « مقاييس اللغة » ، على سبيل المثال ، فى المدخل اللفظى « أبث »:

« وهذا البـــاب مـــهـــمل عند الخـليل » (ص٣٣)، وهو مـا لا نجد له أثراً فى طبعة « كتاب العين » .

– يؤكـد ابن فـارس : « أمـا الخليل فذكـر فى بنائه (تور) مـا ليس من أصله، وهو اسـتـــوأرت الوحش » (ص٣٥٧) ، وهو ما نجده فعـلاً فى طبعة « العـين » : « استوأر (. . .) الوحش» (٨/ ١٣٤).

– مثـال آخر : « وذكر الخلـيل كلمة غيرها أصح منها . قـال: التوع كسرُكَ لباً أو سـمناً بـكسـرة خـبـز ترفـــعـه بهـا » (ص٣٥٩)، وهو مـا نجـده فـى « طبـعـة العـين»: « التوع : كـســرُكَ لبّاً أو سـمناً بكسرة خبز ترفعه بها » (٢/ ٢٢٦) .

إلى هذا يقع ابن فارس على تعريفات يوردها على أنهـا للخليل ، كـمـا ترد فى مخطوطتـه عن « كتـاب العين » . ولكن يشكك فى صحة نسبتها للخليل ، كما فى قـوله هذا : « وفى الكتـاب المنسـوب إلى الخليل : يقـال تركتُ الحبلَ شـديداً ، أى جعلته شديداً . ومـا أحسب هذا من كلام الخلـيل » (ص ٣٤٦) ! بـلى ، هـو من كـلام الخليل ، حسـبـما يـرد فى الطبعـة المحققة : « تقـول : تركتُ الحبل شديداً، أى : جعلته » (ص٥ / ٣٣٦) .

إذا كـان العدد الأغلب من نقـول ابن فـارس عن نسـخة « العـين » التى كـانت بحـوزته ، نجده فى الطبـعة المحـققـة من معـجم الخليل ، فإننا نقع على عدد يسـير منها لا نجـد له أثراً فى الطبعـة المحقـقة . وهو عـدد يسيـر فعـلاً إذ لايتجـاوز ستـة مداخل لفظية من أصل ٢٠٥ مـدخلاً (ما يوازى ٢,٨ بالمئة من مجموع النقول)

فابن فـارس ينسب إلى الخليل أقـوالاً لا نجـدها ، أى هى سـاقطة ، من الرواية التى تستنـد إليها الطبـعة المحقـقة ، وهى المداخل اللفظية التالية : « أك » (ص١٨)، و«أرط» (ص٨١) ، و« أرث » (ص٩٣) ، و « أنـــت » (ص١٤٣) ، و« بـــدح » (ص٢١٤- ٢١٥) ، و « جـــــــح » (ص٤٠٥) . إلى هذه المداخل اللفظيـة ، نتبين أيضـاً سقـوط بعض الاشتقـاقـات أو الدلالات فى ثمانيـة مـداخـل لفظية ، هـى التـالية : « أبـر » و «أتن» ، و « أم » و « أبـو » ، و « أست » ، و « أيـى » ، و«أنف» و «بعو» :

– سقط من مادة « أمُ » القول التالى: « قـــال الخليل : الأم الواحـــد والجـــمع أمهات، وربما قـالوا أمٌّ وأمّات . » (٢١)؛

والقول التالى : « قال الخليل : أُمُّ التَّنائف أشدُّها وأبعدها » (ص ٢٣) .

- سقط من مادة « أبر» فى « كتاب العين » القول التالى الوارد فى « مقاييس اللغة » فى ما أخذه من الخليل حسب قوله: « قال الخليل: المآبر النمائم ، واحدها مِئبر . [قال النابغة ، ديوانه ، ص ٤٠] .

وذلك من قولٍ أتاك أقوله

ومن دَسِّ أعداءٍ إليكَ المآبرا

ويقال إنه لذو مِئبر ، إذا كان نماماً . قال :

ومن يكُ ذا مئبرٍ باللسا

ن يَسْنَحْ به القولُ أو يبرح »

(ص ٣٥) .

- سقط من مادة « أبو » القول التالى: « قال الخليل : الأبُ معروف ، والجمع آباء وأُبُوَّة . قال :

أُحاشى نزار الشامِ إنَّ نِزارَها

أُبُوَّةُ آبائى ومنى عميدُها

قال : وتقول : تأبيتُ أباً . . . » (ص٤٤) ؛ ثم يستعيد معجم « مقاييس اللغة » ما نجده فى « كتاب العين » (٨/ ٤١٩) .

- سقط فى مادة « أمت » القول التالى : « قال الله تعالى « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » . قال الخليل : العِوَج والأمت بمعنى واحد » (ص ١٣٧) ، وهو ما نجده ناقصاً فى « كتاب العين » (ص ٨ / ١٤١) ، حيث ترد الآية القرآنية دون الجملة التالية « العوج والأمت بمعنى واحد » ، غير أن معناها وارد فى « كتاب العين » : «والأمت : أن تصب فى السقاء ماءً فلا تملؤه فينثنى ، وذلك الثنى هو الأمت ، وإذا مُلئ وتمددَّ فلا أمتَ فيه » (٨/ ١٤١) .

- سقط من المدخل اللفظى « أنف » القول التالى : « قال الخليل : أنف اللحية طرفها، وأنف كل شيء أوله» (ص١٤٧)، ولا يرد فى مادة « كتاب العين » (٨/ ٣٧٧-٣٧٨) ، إذ سقط منه الجزء الأول من التعريف وحسب ، أى : « أنف اللحية طرفها » .

- سقط من مادة «أبى» القول التالى : «قال الخليل : خرجَ القومُ بآيتِهم أى بجماعتهم » (ص ١٦٨) الذى لا نجده فى «كتاب العين » .

- سقط من المدخل اللفظى « بعو» القول التالى : « قال الخليل : هو (أى البعو) العارية ، يقال استبعيتُ منه ، أى استعرت . وقال أيضاً: البَعْوُ القَمَرُ ، يقالُ بعوته بعواً: أى أصبتُ منه وقمرته . قال:

صحا القلبُ بعد الإلفِ وارتَدَّ شأوُه
وردتْ عليه ما بَعَتْه تُماضِرُ

(ص ٢٢٦) ، مالا نجده فى «كتاب العين » (٢ / ٢٦٥) .

كيف جرى الأمر ؟ أهى هفوات الناسخين المعروفة ؟ ربما ، ولاسيما أن العدد محدود بالمقارنة مع عدد عمليات الأخذ الواردة فى مواد ٢٠٥ مدخلاً لفظياً. ولعلنا نجد هفوات الناسخين فى هذا الأمر أيضاً : وهو أننا نقع على مواد «أول» فى « مقاييس اللغة » فى مدخلين لفظيين فى « كتاب العين » : « إيل » (٨ /٣٥٨) و « أول » (٨ / ٣٦٨) .

الفروقات محدودة فى نهاية المطاف ، بين الرواية عن « كتاب العين » التى أخذها ابن فارس فى معجمه « مقاييس اللغة » عن طريق بندر بن لزة ومعروف ابن حسان ، وبين رواية أبى معاذ عبد الله التى تعود إليها الطبعة المحققة من « كتاب العين » . كما يمكننا أن نزيد على هذه المقارنة سنداً قوياً ، هو فى أساس ما قام به المحققان العراقيان ، وأدى إلى عودتهما المستديمة عند تحقيق الكتاب إلى نقول المعاجم الأخرى عن « العين » . فلا يخلو مدخل لفظى فى الطبعة المحققة من إحالات ومقابلات مع مواد « تهذيب اللغة » أو «لسان العرب » أو غيرهما ، وهى معاجم أخذت رواية « العين » عن طرق أخرى .

نخلص من هذه المقارنة إلى الاستنتاج التالى : فى الحد الأدنى تكون الرواية (أو النسخة) واحدة بين ما وصل إلى ابن فارس ونسخ المحققين المتأخرة ، ما يسد ثغرة فى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، وفى الحد الأعلى قد تكونان روايتين (أو نسختين) مختلفتين بما يسد الفترة الزمنية من جهة وما يعزز وثوقنا فى النص نفسه . إن مجموع هذه التحققات أدت بنا إلى الاقتناع التالى : إن الطبعة المحققة توافق ، على الرغم من بعض السقطات

المحدودة والتعـديلات الصياغية الطفـيفة ، عـدداً واسعـاً مـن الــروايـات القديمـة ، والتى تعود فى الأكـيد منها ، إلى مـا قبل سنة ٢٤٨ هـ .

يبقى أن نضيف مـلاحظة على الطبعة المحققة ، وهى التالية : إن عودة المحققين العراقيين إلى بعض المعـاجم ساعدتهما فى تحقيق طبعتهـما وفى عزو الأبيات الشعرية إلى أصـحـابهـــا ، ولكن دون أن يعـودا فى صـورة تامة إلى « مـقاييس اللغـة » . ولو فعلا ذلك لوجدا من المعطيات ما عزز طبعتهـما المحققة ، وما مكنهـما أيضاً من نسبة بعض الأبيات الشعرية إلى مؤلفيها . فالمحـققان يوردان بعض الشواهد الشـعرية دون هوية قــائليـهـــا ، التى لم يقــعـوا عليها فى النسخ التى اعتـمدا عليها ، ولا فى المعاجم الأخرى التى عادا إليـها ، فيما وقعنا على عدد من الأبيات المنسوبـة فـى «مقاييس اللغة » والواردة فى طبعة «العين» دون عزو . وهي الأبيات التالية :

- فى المــدخــل الــلفـظـى « ألك » (ص ١٣٢) ، فى معرض الأخذ من كتاب الخليل ، يرد الشاهد الشعرى التالى للنابغة وهو دون عزو فى طبعة « العين » :

أَلِكْنِى يا عُيَيْن إليك قولاً
ستحملُه الرُّواةُ إليكَ عَنِّى

(من قصـيدة له فى ديوانه ، ص ٧٨ من خمسة دواوين العرب) .

- وفى المــدخــل الــلفظـى « أنى » (ص ١٤١) يرد الأمر نفسه ، لا بـل يـرد البـيت فى صـورة غـير تامـة ، وهو للكمـيت، حسـبمـا يؤكد مـحقق كـتاب «مقاييس اللغة » ، وهو البيت التالى :

قِفْ بالديارِ وقُوفَ زائرْ
وَتَأَنَّ إنك غيرُ صاغِرْ

ويُروى وتأَىَّ » (ويمكـن العـودة إلى بعض أبيات هذه القصيدة فى « الأغانى ». ١٥ : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤) .

- وفـى المدخـل اللـفـظى « أنـث » (ص٨/ ٢٤٤) يورد المحـققان الـعراقـيان بيــتًا ، بل يكمــلانه تبـعـًا لوروده فى «التهذيب» وفى «لسان العرب»، ويعزوانه لذى الـرمـة ، إلا أن مــحـقق « مقـاييس اللغة » يذهب مـذهباً آخر (ص ١٤٤) ، وهو أن البـيت للفـرزدق ، وأنه يشبـه فى جزء منه وحـسب بيت ذى الرمة ، ويورد البيت الصحيح :

أَلِكْنِى يا عُيَيْن إليك قولاً
ستحملُه الرُّواةُ إليكَ عَنِّى

وكنّا إذا الجبارُ صَعَّرَ خدَّهُ

ضربناه تحت الأُنْثَيَيْنِ على الكَرْدِ

(البيت فى « ديوان الفرزدق » ، ص ٢١٠) .

- هذا ما نقع عليه أيضاً فى مادة «أم» فى « كتاب العين » ، (٨/ ٤٢٥) ، إذ يوردان بيتاً لأبى ذؤيب من دون عزوه ، فى حين توصل إلى ذلك محقق « مقاييس اللغة » (ص ١٦٦) ، وهو فى ديوان أبى ذؤيب ، والبيت هو التالى :

فلما اجتلاها بالإيام [1] تحيزت

ثُبات عليها ذلُّها واكتئابُها

وغير ذلك أيضا من الشواهد الشعرية

٣ - حجج الشك فى «كتاب العين» :

عالجنا فيما سبق الروايات القديمة لـ « كتاب العين » بالمقارنة مع الطبعة المحققة ، وتبينا التوافق بينها . أى أننا عملنا للتحقق من التطابق (ولو مع بعض التعديلات الصياغية أو السقطات القليلة) بين المخطوطات « المتأخرة » التى اعتمدعليها المحققان والنبذات الواردة عن « العين » (وعن روايات أخرى) فى مصادر قديمة إلا أن عملنا - على ضرورته - لا يجيب ، ولا يتعرض لأساس المشكلة ، وهو التالى : قام غير عالِم من علماء العربية ، بعد اطلاعهم على الروايات التى أشرنا إليها ، بنقد عدد من المواد المدرجة فيها ، نافين نسبتها إلى الخليل . فما هذه الملاحظات ؟

يمكننا أن نتحدث عن ثلاثة أنواع من الملاحظات :

١ - ورود نقول فى « العين » عن رجال بعضهم من تلاميذ الخليل ، أو من الأعراب الذين ما عُرفوا فى البصرة ، بل فى خراسان .

٢ - ورود اجتهادات فى النحو لا تناسب عقلية وأحكام مدرسة البصرة ، بل أهل الكوفة.

٣ - « تخليط » الشراح والنساخ فى مواد « العين » .

إذا كان بعض هؤلاء العلماء تحدث عن « تخليط » فى الكتاب ، فإننا لا نستطيع معرفة هذا التخليط فى صورة حصرية ، بل تقديرية وحسب . وتناولوا

---

(١) الإيام (بكسر الهمزة) : الدخان .

فى ملاحظاتهم هذه على الأرجح الإشارة إلى الزيادات التى يضيفها الشراح والنساخ على متن نسخهم ، والتى لا تلبث أن تُزاد على المتن الأصلى مع تقادم الوقت . وهى حالات معروفة فى عدد من الكتب العربية القديمة [1] . ويسوق الدكتور عبد الحميد الشلقانى ، فى معرض دراسته لمعجم الخليل ، تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة ، وهو أن عدداً من الوراقين كانوا يجنحون إلى هذه الزيادات « رغبةً فى إضافة ما يرونه مفيداً إلى صلب الكتاب ، ومعجم كالعين كان يقبل الإضافة إلى مادة من مواده دون أن يؤثر ذلك فيما قبل هذه المادة أو بعدها، فإذا أعيد نسخ الكتاب ضمت هذه الشروح والتعليقات عليه » [2] . التفسير مقنع ، ولكن هل أصابت « كتاب العين » هذه الزيادات ؟

الإجابة ممكنة إذا توصلنا إلى الرد على السؤالين الأولين ، أى معرفة ما إذا كانت هناك زيادات تعود فعلاً لرجال غير متوقعين فى « كتاب العين » أو لآراء مناقضة لما قاله الخليل ، أو لاحقة على عصره .

وكان أبو بكر الزبيدى (-٣٧٩ هـ) هو الذى دفع إلى النقاش هاتين المسألتين [3] ، مستنكراً وجود نقول فى «كتاب العين» عن الأصمعى (-٢١٣ هـ) وأبى عبيد (- ٢٢٤ هـ) ، وابن الأعرابى (-٣٢١ هـ) وغيرهم ، ممن أخذوا العلم عن الخليل أو كانوا شباباً عند وفاته . كما استغرب عدد من الباحثين المحدثين - بعد عمل الأب الكرملى على الجزء الأول من « كتاب العين » ، أو بعد نشر الدكتور درويش للجزء الأول أيضاً - ورود نقول عن سيبويه ، وهو تلميذ الخليل ، أو عن أبى سعيد والضرير وابن أحمد وعرام وزائدة ومبتكر وحماس « ممن لا يعرف لهم ذكر فى البصرة » ، بحسب عبارة الدكتور

---

(١) مثل كتاب « النوادر » لأبى زيد الأنصارى الذى يتضمن زيادات تربو على النصف من مادته ، وتعود لرجال عاشوا بعده ، أو مثل كتاب « النوادر » للأصمعى الذى أنكر أكثر من ثلثه ، بعد أن وقعت بين يديه نسخة منه ، على ما ورد خبره فى « تهذيب اللغة » ، ص ١/ ٥ .

(٢) فى « رواية اللغة » ، دار المعارف القاهرة ١٩٧١ .

(٣) وردت الأخبار عن هذه الملاحظات فى مقدمة « مختصر العين » ، وفى المزهر » ص ١/ ٤٢ - ٤٣ .

الشلقانى ، إذا كان بعض المحدثين (مثل الكرملى والشلقانى وغيرهما » استغرب وجود هذه النقول فإن غيرهم (مثل الباحث محمد آل ياسين وغيره) ردَّ على هذه الانتقادات . ويمكننا القول بأن هذه الشكوك أفادت الكتاب ، إذ بادر غير عالم قديم وغير باحث محدث إلى إجراء مزيد من « التحقيقات » حول نسبة الكتاب ، لا تتوقف على الأخبار ، سواء أكانت أكيدة أم مختلقة ، بل على مقابلة النصوص بالنصوص .

لن نستعيد حجج القدماء والمحدثين ، فهى معروفة [1] . فإننا نفتقر ، مع القدماء ، إلى نصوصهم البينة والتفصيلية فى هذا الخلاف . أما ملاحظات المحدثين فهى تتصل بعمل الكرملى ودرويش ، أى بجزء وحسب من « كتاب العين » . لا فى مجموعه كما انتهى الينا فى الطبعة المحققة الكاملة . وقد بدا لنا مفيداً ، بل ضرورياً والحالة هذه ، ان نعود إلى مجموع « كتاب العين » لتبين الأصول اللغوية التى عاد إليها ، أو النقول التى أخذ بها ، أو التعليلات اللغوية التى أوردها ، لكى نتحقق فى صورة وافية من حقيقة الشكوك اللغوية التى أصابت « كتاب العين » .

لن نكتفى بتبين الأصول أو التعليلات اللغوية ، بل سنتعدى ذلك لنتناول أيضا المادة الخبرية الواردة فى « كتاب العين » عن أمور وميادين تخص علم التنجيم أو أيام العرب وغيرها مما يدل عن « الزمنية المعرفية » لإنتاج المعجم . فما الزمنية المعرفية هذه ؟

---

(١) نكتفى فى هذه الملاحظة بإيراد عدد من الكتابات الحديثة عن « الشكوك » فى « كتاب العين » : مقالان للأب أنستاس مارى الكرملى فى الجزء الثانى من المجلد الرابع من مجلة « لغة العرب » ، وفى العدد السابع والثلاثين من «مجلة الثقافة» أربع مقالات للباحث يوسف العش بعنوان « أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروى عن الخليل بن أحمد »،فى « مجلة المجمع العلمى العربى » فى سنة ١٩٤١ ؛ نشر الدكتور عبد الله درويش ، قبل إصداره الجزء الأول من المعجم ، كتابا بعنوان المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد » عن مطبعة الرسالة فى سنة ١٩٥٦ ؛ وتضمن كتاب الدكتور حسين نصار « المعجم العربى نشأته وتطوره » معالجات واسعة عن « كتاب العين » فى سنة ١٩٥٦ ، طبعة دار الكتاب العربى ، كما نشر دراسة بعنوان « دراسة فى كتاب العين للخليل بن أحمد » فى مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، العدد العاشر فى سنة ١٩٦٧ ؛ « رواية اللغة » للدكتور عبد الحميد الشلقانى ، ص ١١١ – ١٣٢ ؛ « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » لمحمد حسين آل ياسين ص ٢٣٠ – ٢٥٩ وغيرها .

ونحن لم تقع على دراسة خاصة بالطبعة المحققة الكاملة من « كتاب العين » غير التى وضعها الدكتور صلاح مهدى الفرطوسى بعنوان « محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين » ، مجلة المجمع العلمى العراقى جزء أول ، مجلد ٣٨ ص ٢٤٢ – ٢٦٩ .

يحفل « كتاب العين » بمادة غزيرة تعين :

١ - المصادر اللغوية التى استقى منها الخليل (أو غيره) مادة الكتاب .

٢ - المصادر الأدبية والدينية والعلمية والإخبارية التى نهل منها .

إلى غير ذلك من المصادر التى تصل المعجم بزمن ما ، والتى تحده فى نهاية المطاف .

هى تحده بقدر ما تحدده ، أى تعين الأفق المعرفى لـ « كتاب العين » . فنحن نقوى ، عند مطالعة هذه النبذات ذات الحمولات « الإبلاغية » من عزوها (أو عدم عزوها) إلى عصر الخليل ، فى صورة قد لا تكون قاطعة فى كل الأحوال ، إلا أنها لا تخلو - حتى مع النبذات الصعبة - من احتمالات الترجيح والتحقيق .

٤ - أصول « العين » اللغوية

يشتمل « كتاب العين » على مادة لغوية غنية ، يمكن اعتبارها العملية « الأولى » و « الأوسع » فى جمع اللغة العربية منذ القرن الثانى الهجرى ، فبعد أن اقتصر الأمر ، مع أبى عمرو بن العلاء وقبله ، على جمع ألفاظ « نادرة » أو غير معروفة ، أو على جمع ألفاظ فى موضوع بعينه ، قام مشروع « كتاب العين » على جمع ألفاظ العرب ، فلا « يخرج عنها شىء » إلا أن عملية الجمع هذه لم تكتف بالجمع الدلالى ، بل تعدته إلى رصد أحوال العربية تبعاً لـ « لغاتها » أى لألسنة القبائل فى الجزيرة العربية . يحفل المعجم بمادة واسعة عن « اللغات » قلما وقعنا عليها فى أى معجم [1] ، لا بل فى التآليف اللغوية فى هذا العهد . بدا لنا

---

(١) نبذات من « لغات » القبائل فى « كتاب العين » :

« غير أن العامة قد لهجوا بالخطأ : يقولون : فلان أدى للأمانة ، وهذا فى النحو غير جائز » (٨/ ٩٨) ؛ « الفائور عند العامة الطَّست خان ، وأهل الشام يتخذون خواناً من رخام يسمونها الفائور وفى بعض كلام أهل الشام ، والجزيرة : على الفائور الواحد يعنى على البساط الواحد والفوائير : الجواسيس ، الواحد فائور فى كلام أرمينية » (٨/ ٢٢١) ؛ «و» فعيل لغة لسُفلى مُضَر : نعيم وبئيس يكسرون الفاء فى فعيل إذا كان الحرف الثانى منه من حروف الحلق الستة ، وبلغتهم كُسرَ الضئين ورئيس ودهين ، وأما من كسرَ كثير ، وأشباه ذلك من غير حروف الحلق فإنهم ناس من أهل اليمن ، وأهلِ الشّحر يكسرون كل فعيل وهو قبيح إلا فى الحروف الستة ، وفيها أيضاً يكسرون صدرَ كلِّ فعلٍ يجىء على بناء عِمل نحو قولك : شِهد وسِعد » (٧/ ٣١٧) : « الجُنْبُخ » تعنى : فى لغة مضر « الضخم » ، وفى لغة أهل السواد « الخابية الصغيرة» ، وفى لغة أهل اليمن « القملة الضخمة » (٤/ ٣٢٨) .

- ربيعة « الكَشْكَشَة : لغة لربيعة ، يقولون عند كاف التأنيث : عليكش ، إليكش ، بكش بزيادة شين » (٥/ ٢٦٩) ؛ « ربيعة تغلط فتقول : الدُّكر للذكر » (٥/ ٣٢٧) ؛ ١/ ٩١ وغيرها . =

. . . . . .

= - عبادية حيرية : ٥/ ٤١ ؛»
- تغلب : القشمة » فى لغتهم (٥/ ٤٧) ؛
- بنى الحارث : ٣/ ٥٨ ؛
- طيء : « ولغة طيء هذه رَجُلَة وهذا رجلٌ » (٦/ ١٠١) ؛ (١/ ١٣٧) ؛ (٣/ ٣١٤) ؛
- تميم : « العَرْجَلَة . . . بلغة تميم الحَرجلة » (٢/ ٣٢٠) ؛ « لغة تميم : شهيد بكسر الشين ، يكسرون فعيلاً فى كل شيء كان ثانية أحد حروف الحلق وكذلك : سُفْلى مُضَر » (٣/ ٣٩٨) ؛ « فأما تميم فإنهم يجعلون ألفَ كل أن وأن منصوبة من المثقل والمخفف » (٨/ ٣٩٨) ؛ « نَكلَ تميمية ، ونَكَلَ حجازية » (٥/ ٣٧١) ؛ « الكَلِمَة : لغة حجازية ، والكلْمة : تميمية » (٥/ ٣٧٨) ؛ « أهلُ الحجاز يُسمون فساطيطَ عمالهم : الأجواف » (٦/ ١٨٩) ؛ « الأصاتم جماعةُ الأصَطمة بلغة تميم ، جمعوها بالتاء على هذه اللغة لأنهم كرِهوا التفخيم « أصاطم » فردوا الطاء إلى التاء » (٧/ ١٠٧) ؛ « الدّوِيَة: مفازةٌ ملساء بلغة تميم ، وداوية لأهل الحجاز بلغتهم » (٨/ ٩٢) ؛ « الأيد: القوة، وبلغة تميم الآد » (٨/ ٩٧) ؛ الوَدُّ : الوَتدُ بلغة تميم ، فإذا صغَّروها ردوا التاء فقالوا وتيد » (٨/ ١٠٠) ؛ « الربَذَة تميمية ، والثَّمَلَة حجازية ، وهما صوفةُ الهناء » ٨/ ١٨٣ ؛ ٤/ ٩٦ ، ٤/ ١٩٢ ، ٤/ ٢٥٥ ، ٥/ ١٩٤ وغيرها .
- تهامة : « . . . وفيتَ بعهدك ، ولغة أهل تهامة : أوفيت » (٨/ ٤٠٩) ؛
- هذيل : « القُمْعُل : القدح الضخم بلغة هذيل » (٢/ ٣٠٠) «الكَرهاء : أعلى النُّقْرة بلغة هذيل» (٣/ ٣٧٦) «سحابةٌ خلوجٌ : متفرقة بلغة هذيل» (٤/ ١٦١) ؛ « الخَموش : البعوض » (٤/ ١٧٤) ؛ « القترِ سهامٌ صغار هذلية » (٥/ ١٢٥) ؛ « تقول هذيل : غَنَج على شَنَج أى رجلٌ على جَمَلٍ » (٦/ ٣٧) ؛ الجَرْد : ثوبٌ خَلَقٌ ، لغة هذيل » (٦/ ٧٧) ؛ « الفريج : البارد هذلية » (٦/ ١١٠) ؛ « وكلامٌ نسيفٌ أى : خفى ، هذلية » (٧/ ٢٧٠) وهذيل تقول : لَدَه عن كذا أى حبسه (٨/ ٩) «رِبْدُ السيف : فرنده هذلية » (٨/ ٣٠) ؛ « تقول هذيل : ادَّرَيْتُ الصيدَ أى ختلتُه » (٨/ ٦١) ؛ « الذَّبر ، بلغة هذيل خفيةً يذبرُها ذَبْراً » (٨/ ١٨٢) ؛ « والرَّبابة : خرقة تُجعلُ فيها القداح ، هذلية » (٨/ ٢٥٩) ؛ «كتاب منمل : مكتوب ، هذلية » (٨/ ٣٣٠) ؛ (١/ ٩٢) ، (١/ ٢٢٣) ، (١/ ٢٣٢) ؛ (١/ ٣٠٩) وغيرها .
- المدينة : « الزّاووق : الزئبقُ لأهل المدينة » (٥/ ١٩١) ؛ « الفقيه يُفتى أى يبين المُبهم ؛ ويقال : الُفتيا فيه كذا ، وأهل المدينة يقولون :االفَتْوى » (٨/ ١٣٧) ؛ (٣/ ١٠٣) ، (٤/ ٧٧) ؛
- الجزيرة : ٤/ ٩٦ وغيرها .
أهل الغور : الزَّرْجون بلغة أهل الطائف وأهل الغور : قُضبان الكرم » (٦/ ٦٣ وفى ٦/ ٢٠٢) ؛ « الثُّفاء : الخَرْدَل ، بلغة أهل الغور » (٨/ ٢٤٦) ؛ ٤/ ٧٨ وغيرها .
- الحجاز : « نَكلَ تميمية ، ونَكَل حجازية » (٥/ ٣٧١) ؛ « الكَلِمَة : لغة حجازية ، والكلْمة : تميمية » (٥/ ٣٧٨) ؛ « المشمش : فاكهة ، وأهل الحجاز يسمون الإجاص مشمشاً » (٦/ ٢٢٥) ؛ « أهل الحجاز يثبتون الياء والواو فى نحو صَيد وعور ، وغيرهم يقولُ : صادَ يَصادُ وعارَ يعارُ » (٧/ ١٤٤) ؛ الدّوِيّة : مفازةٌ ملساء بلغة تميم ، وداوية لأهل الحجاز بلغتهم » (٨/ ٩٢) ؛ « وناسٌ من أهل الحجاز يفتحون ما كان من نحو « دَو » ويقولون : رجل دَوىّ وامرأة دَوًى سواء ، لأنه تحويل » (٨/ ٩٢) ؛ « فأما أهلُ الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللام التى أُلقيتْ ، فيقولون ظِلنا وظِلْتُم ، والمصدرُ الظِّلول . . . وتميم تقول : ظَلْتُ » (٨/ ١٤٩) ؛ ٤/ ١٠٣ ، ٤/ ٢٢٥ وغيرها .
- سُفلى مضر : ٤/ ٢٤٥ ، « الجُنْبُخ : الضخم بلغة مضر » (٤/ ٣٢٨) ؛ « ولغة أهل الحجاز فَضِلَ يفضَلُ » (٧/ ٤٤) (٣/ ٣٧) ، (٤/ ٤٠) وغيرها .
- مكة : « البطة : الدبة فى لغة مكة » (٧/ ٤٠٨) وغيرها .
- بنى سعد : « هَلُمَّ : . . . التأنيثُ والتذكيرُ فيه سواء ، إلا فى لغة بنى سعد فإنهم يحملونه على تصريف الفعل فيقولون : هَلّما وهَلُمُّوا ونحو ذلك » (٤/ ٥٦) وغيرها .
- الكوفة : « الكَبَر : طبلٌ له وجهٌ بلغة أهل الكوفة » (٥/ ٣٦١) ؛ « الدُّرَينَة : الأحمق بلغة ناسٍ من أهل الكوفة » (٨/ ٢١) وغيرها .
- اليمن : ١/ ١٦٣ ؛ « القُشْعُر : القثاء بلغة أهل الجوف من اليمن » (٢/ ٢٨٧) ؛ « القُنْفُعَة : الفُرْقُعَة وهى الأست بلغة يمانية » (٢/ ٣٠٢) ؛ « العَنْكبوت بلغة أهل اليمن العنكوة والعَنكباه » (٢/ ٣٠٩) ؛ « الفَقْحَة : الراحة بلغة اليمن » (٣/ ٥٢) ؛ و « القحبة : المرأة بلغة اليمن » (٣/ ٥٣) ؛ « الكَحْب : البروق بلغة اليمن » (٣/ ٦٥) ؛ « الجُنْبُخ : القملة الضخمة بلغة اليمن » (٤/ ٣٢٨) . « الزقد كلمة يمانية » (٥/ ٨٨) ؛ « بزقوا الأرض أى بذروها ، وهى يمانية » (٥/ ٩٣) « القلوب : الذئب ، يمانية » (٥/ ١٧١) ، « القِرية لغة يمانية » (٥/ ٢١٢) ؛ « المقول » لغة اليمن (٥/ ٢١٢)=

. . . . . .

= الكُلوة : لغة فى الكُلْية لأهل اليـمن » (٥/ ٤٠٥) ؛ « الجَرين : موضعُ البيدر بلغـة اليمن » (٦/ ١٠٤) ؛ « الشرناف » (٦/ ٣٠٢) ؛ «المَضَد : لغـة فى اضَّمَـد ، فى بابه ، يمـانية ، من المقلوب » (٧/ ٢٤) ، « لان العربَ فى بعض لغـاتها يكسرون الفاء فى كل مـوضع عينه حرفٌ من حروف الحلق نحو الضِّـئين والبِعير والشِّهـيد ، وناسٌ من أهل اليمن مما يلى الشِّحرَ وعُمان يكسرون « فاء » فعيل كله فيقولون : للكثير « كثير » » (٧/ ١٧٥) ؛ « الزِّب : اللحية . . . وزِبُّ الصبى : معروف ، وهو ذَكَرُه بلغة أهلِ اليـمن » (٧/ ٣٥٣) ؛ « المِنْزَم : السِّن بلغة أهلِ اليمن » (٧/ ٣٧٦) ؛ « الدَّظ : الشَّل بلغة أهل اليمن » (٨/ ٥) ؛ « البُـرت : الفأس بلغـة اليمن ، والبُرت بلغـتهم السكَّرُ الطَّبـرْزَد » (٨/ ١١٨) ؛ « التَّلَم : مَشَقُّ الكِراب فى الأرض بلغة اليمن » (٨/ ١٢٦) ؛ وأهلُ اليمن يقـولون : واتَيتُ وواسيتُ وواكلتُ ونحو ذلك ، ووامرتُ من أمرتُ ، وإنما يجعلونها واواً على تخفيف الهمـزة فى يؤاكل ويؤامر و نحو ذلك (٨/ ١٤٧) ؛ « اليَتَم ، بلغة اليمن : نظير البركة » (٨/ ٣٨٨) وغيرها .

– الحميرية : العُكْسوم الحمار بالحميرية » (٢/ ٣٠٥) ؛ الحَجْـمَة : العين بلغة حمير » (٣/ ٨٨) ؛ كل جارية هَيَّخَة» (٣/ ٣٥٩) ؛ « الشِّخاف : اللَّبَن بالحميرية » (٤/ ١٧٢) ؛ « الخَميت : اسم السمين » (٤/ ٢٤٢) ؛ « القباية : المفازة بلغة حمير » (٥/ ٢٢٩) ؛ « الشَّتْرَة : الإصبع بالحميرية » (٦/ ٣٠١) ؛ « المُبَلَّت بلغة حمير : المَهْزُ المضمون » (٨/ ١٢٥) ؛ « وفى لغة حمير : ثِبْ معناها : اقعد ، والوثاب : الفِراش بلغتهم » (٨/ ٢٤٧) : « البِلُّ : المُباحُ بلغة حمير» (٨/ ٣١٩) ٣/ ٢٣٤ وغيرها .

– عن الخفجيين : ١/ ٢٠٦ ،

– عن العراق : « الـششقلة : كلمـة حميرية عـبادية لهج بـها صيـارفةُ العـراق فى تعييـر الدينار » (٥/ ٢٤٥) ؛ «البَرْنكان: كساء أسـود بلغة العراق » (٥/ ٤٣٢) ؛ « الإستاج والإستيـج من كلام أهل العراق » (٦/ ٤٩) ؛ « النشوط : كلمة عراقية ، وهو سمكٌ يُمْقَرُ فى ماء وملح » (٦/ ٢٣٨)؛ « والداجن كلامٌ عراقى ليس من كلام البادية » (٦/ ٢٤٣) ؛ « البَرانى بلغة أهل العراق : الدّيكة الصـغار أول ما تدرك ، الواحدة : بَرْنِيّة » (٨/ ٢٧٠) ١/ ٣٥٥ ؛ ١/ ٣٣٨ ؛ ٣/ ٣٩ وغيرها .

– السواد : « الجُنْبُخ : الخـابية الصغيـرة بلغة أهلِ السواد » (٤/ ٣٢٨) ؛ « الكُسُبّج : الكُسْبَ فى لغـة أهل السواد » (٥/ ٤٢٤) ؛ « الشَّيْلَم والشّالَم ، بلغة أهلِ السواد : الزِّوان ، يكون فى البر » (٦/ ٢٦٥) ؛ ٦/ ٢١٧ وغيرها .

– البصرة : « وأهلُ البصـرة فى أسواقهم يُسمون الساقى الذى يطوفُ عليـهم بالماء : بيّاباً » (٨/ ٤١٥) ؛ « الخلال : البلح بلغة أهل البصرة » (٤/ ١٤١) ؛ ٣/ ٤٤ ؛ ٣/ ٣٨٥ ؛ ٤/ ٢٥٥ ؛ ٥/ ٤١١ ؛ ٦/ ٢٨٦ وغيرها .

– أهل الشام « الأندر : البيدر فى لغة أهلِ الشام » (٨/ ٢٢) وغيرها .

– حمص : « وبعض أهل الشام يثقله (القَرْبوس) وهو خطأ » (٥/ ٢٥٢) ؛ ٣/ ٢٢ وغيرها .

– الجوف : « شَلَّطُ السكينُ بلغة أهل الجَوف » (٦/ ٢٣٦) ؛ ٣/ ٣٠٧ وغيرها .

– عُمان : « الهَـيْس : أداة الفدّان بلغة عُمـان » (٤/ ٧٢) ؛ « البزْخ : الجَرف بلغة عُـمان » (٤/ ٢١١) ؛ « البَرْخ : «الرخيص» ؛ ويشـرح ملابسات الشراء فى أسـواق عُمان (٤/ ٢٥٦) ؛ « الوَيْج : خشَـبَةُ الفَدّان بلغـة عُمان » (٦/ ١٩٧) وغيرها .

– لغة الأنباط : « قومٌ ينزلون سواد العراق » (٧/ ٤٣٩) ؛ « قوله : لا دهل ، أى لا تخف بالنبطية » ، و« القمل» : الجـمل » (٢/ ٩٦) ؛ « العَسْطوس من رءوس النصـارى « بالنبطيـة » (٢/ ٣٢٧) ؛ « الهَبُـور : الشعـر النابت بالنبطيـة » (٤/ ٤٧) ٤/ ١٥٦ وغيرها .

– القبطية : « البُهار – قبطية – : ثلاث مئة رطل » (٤/ ٤٨) وغيرها .

– مصـر : « هَيْتَ » من كلامـهم (٤/ ٨١) ، « الوَهين » أى مسـاعد الأجيـر فى العمل ، فى كـلامهم (٤/ ٩٣) ؛ «الفقوس : البطيخ ، بلغـة مصر : الذى لم ينضج » (٥/ ٦٧) ؛ « القيطون : المُخدع فى لغـة البربر ومصر » (٥/ ١٠٣) وغيرها .

– قصة عن اختـلاف معنى « راعنا » بين المسلمين (أى : أجعل علينا سمـعك) ، وبين اليهود (أى ، وهو عندهم شتم) ص ٢/ ١١٩ ؛ « هيا شـراهيـا ، بالعبرانية : ياحىّ يا قيـوم » (٣/ ٤٠١) ؛ « الهَيُول : الهباءُ المنبثُ بالعـبرانية ، ويقال : بالرومية ، وهو الـذى تراه من ضوء الشمس فى البيت » (٤/ ٨٩) ؛ « المرْجَبّة المقلاع بـالعبرانـية » (٦/ ١١٤) ؛ «تشرين : اسم شـهر من شـهور الخريف بالـرومية » (٦/ ٢٤٥) ؛ النُّطاسى والنُّطـيس : العالمُ بالطب ، وهو بالرومـية النسطاس ، وما أنطسه » (٧/ ٢١٥) وغيرها .

مفيداً التوقف أمام هذه المادة اللغوية المتصلة بـ « لغات القبائل » لعرضها من جهة ، ولتبين صلتها بما عرف من جمع الخليل للغة في البوادى العربية من جهة أخرى .

٤ - (أ) « لغات » القبائل

فى غير مادة فى المعجم نقع على تعريفات تبين لنا الاختلافات فى نطق هذا اللفظ أو ذاك ، أو فى تعيين دلالته ، بين قبيلة وأخرى . فـ« الفاثور » يتخذ ، على سبيل المثال ، غير دلالة بمجرد أن ننتقل من منطقة لغوية إلى أخرى : فهو يعنى « عند العامة » (عامة البصرة على الأرجح) « الطست خان » ، وعند أهل الشام « خواناً من رخام » وعند أهل الجزيرة « البساط » وعند أهل أرمينية « الجاسوس » لا أقل من أربع دلالات مختلفة ، بل متباينة ، للفظ واحد ! هذا ما نقع عليه فى ألفاظ أخرى مثل « الجُنبُخ » ، التى تعنى « الضخم » فى لغة مضر ، و « الخابية الصغيرة » فى لغة أهل السواد، و « القملة الضخمة » فى لغة أهل اليمن .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، وهى تقدم لنا عينات واسعة مما جمعه الخليل ودرسه من لغات القبائل ، لا سيما فى الحجاز ونجد وتهامة،فالخليل يجمع الألفاظ ويوردها دون أن يعللها أحياناً . ذلك أنه « سمعها» وحسب أو « بَلَغَتْه » ، وفق ما يصرح فى غير مادة لفظية . وتفيدنا هذه المواد فى تبين عدد من خواص لغات القبائل ، فى مبانيها وتراكيبها النحوية والصوتية والدلالية . فالخليل يميز بين لغة الأعراب فى البادية ولغة « العامة » أو « الأمصار »،

= - الفارسية : «دهليز : إعراب دليج ، فارسية » (٤/ ١٢٣) ؛ المهندس « مشتقٌ من الهندزة ، فارسى صُيِّرَت الزاى سيناً » (٤/ ١٢٠) ؛ « السَّخْتيت : كلمة يُقال : هى فارسية اشتقها رؤبة من « سخت » ، فقال ﴿ ديوانه ، ص ٢٦ ﴾ .

هل يُنجينى حَلِفٌ سِخْتيتُ أو فضةٌ أو ذهبٌ كِبْريتُ » (٤/ ١٩٤) ؛

« طَرخان اسم رجل بلغة خراسان » (٤/ ٢١٦) ؛ اليارجان ، كأنه فارسى » (٦/ ١٧٤) ؛ « الجَوم : كأنها فارسية » (٦/ ١٩٥) ؛ «الفَيْج اشتُقَّ من الفارسية ، وهو رسولُ السلطان على رِجْله » (٦/ ١٨٩) ؛ « والنسرين من الرياحين ترجمة الفارسية » (٧/ ٢٤٣) ؛ « التِّنِّين : نجمٌ من نجومِ السحابِ وليس بكوكب ولكنه بياضٌ خفيٌ يكونُ جسدُه فى شبيه من الماء وذَنَبُه دقيقٌ أسود فيه التواءٌ يكون فى البرجِ السابعِ من رأسه ، وهو يتنقلُ كتنقل الكواكب الجوارى ، واسمه بالفارسية « هَشْت أبير » فى حساب النجوم ، وهو من النحوس » (٨/ ١٠٨) وغيرها .

- السريانية : « القَنْذَعُ والقُنْذُع ، بالفتح والضم : الدِّيوث وأظنها بالسريانية » (٢/ ٢٩٦) ؛ « متّى .... وهى بلغة السريانية متّى » (٨/ ١١٢) وغيرها .

- الحبشية : «طه» فى الحبشية تعنى « يا رجل » (٣/ ٣٤٧) .

- إفريقية : « الزقوم » يعنى الزبد والتمر فى لغتهم (٥/ ٩٤) وغيرها .

لاسيما فى البصرة ، ويعدُّ الناطق الذى « يترك عنعنة تميم وكشكشة ربيعة » من « الفصحاء » . كما يقارن بين « اللغات » عامة : فـ«الشينات كلها قبل اللام » بخلاف ما هى عليه فى عدد من الألفاظ الحميرية،والنون تدخل فى بعض ألفاظ أهل حمص على أنها « غنة » وليست بأصيلة وبنو تميم « يجعلون بدل الهمزة العين » على حين تجعل ربيعة مكان الكاف المكسورة شيناً ،وغيرها من التعيينات .

يحفل « كتاب العين » بمادة واسعة عن لغات القبائل والمواضع التالية : ربيعة، وتغلب ، وبنى الحارث ، وتميم ، وتهامة ، وهذيل ، والمدينة، والجزيرة ، والحجاز ، والغور ، ومكة ، ومضر ، وبنى سعد ، واليمن ، وحمير ، والكوفة ، والبصرة ، والعراق ، والسواد ، الشام ، وحمص، والجوف ، وعمان ، ولغة الأنباط ، واللغة القبطية ، ولغة مصر ، والعبرانية والفارسية وغيرها ، دون أن يكون هذا التعداد نسقياً .

بدا لنا مفيداً أن نتناول « اللغات » العربية على حدة ، على أن ننصرف لاحقاً إلى تبين غير العربية منها ، لا لطبيعة « اللغات » العربية المتقاربة وحسب (واختلافها البين عن غيرها) بل لأن الخليل نفسه عمد فى غير موضع إلى تبين صلات التقارب مثل التخالف بين هذه اللغة أو تلك فى الجزيرة العربية .

نجد الخليل يكتفى فى بعض الأحيان بإيراد ما جمعه وحسب دون معالجة أو تحليل ، سواء أكان ما جمعه يتعلق بدلالة أو بكيفية نطق . فيفيدنا ، على سبيل المثال ، أن لفظ « القشمة » يرد فى لغة تغلب ، وأن « العَرْجلة » تأتى فى لغة تميم « الحَرْجلة » وأن « المعصوب » يعنى «الجائع» فى لغة هذيل ، إلى غير ذلك من الأمثلة ، ونقع أحياناً على لطائف دلالية فى هذا الشأن مثل هذه : « ثِب » معناه « اقعد » فى لغة حمير أى بخلاف ما هى عليه العربية الحالية. أو هذه : « تقول هُذَيل : أكل حتى اقْتَرَّ ، فى الناس وغيرهم ، والاقترار الشبع » . وهو خلاف ما تعرفه العربية الحالية .

ولا يتأخر أحياناً عن سرد الحكاية التى

أدت إلى نشأة هذه العبارة أو هذا اللفظ :

و « القَدْف : غرفُ الماء من الحوض . أو من شيء تصبُّه بكفِّك ، بلغة عُمان . وقالتْ «بنتُ جُلَنْدى العُمانية» حين ألبست السلحفاة حليها فغاصت وأقبلت تغترفُ من البحرِ وتصبه على الساحل وهى تنادى القوم : نَزافِ نَزافِ ، لم يبقَ فى البحر غير قداف ، أى غير حفنة » .

إلا أنه يتوقف ، فى مواضع أخرى ، ليتبين صيغَ لغة هذه القبيلة أو تلك ، صارفاً لها الجهد الذى صرفه للعربية حين أعمل التقليب فيها ودرس أبنيتها واحتمالات التركيب فيها . فهو يلاحظ ، على سبيل المثال ، أن لغة أهل سفلى مُضر تكسر الفاء فى فعيل إذا كان الحرف الثانى منه من حروف الحلق الستة » . بخلاف أهل اليمن الذين لا يتأخرون عن كسر الفاء فى فعيل حتى لو لم يكن الحرف الثانى من حروف الحلق . ونراه يعالج فى صورة تحليلية تراكيب الكلام واحتمالاتها فى غير لغة ، متوقفاً فى شكل خاص أمام أربع لغات - على ما بدا لنا من الثبت اللغوى الذى قمنا به - ، وهى اللغات التالية : لغة تميم ، ولغة هذيل ، ولغة الحجاز،ولغة اليمن . ماذا يمكننا القول عن كل واحدة منها ؟

ترد فى النبذات التعريفية ألفاظ وفق دلالاتها المخصوصة فى لغة تميم : مثل لفظ « الأجواف » الذى يعين فى لغتهم « فساطيط عمالهم » ، أو « الدَّوِّية» التى تعين عندهم « مفازة ملساء » ؛ و«الآد» « القوة » ؛ و « الرَبَذَة » « صوفة الهناء » و « الود » « الوتد » ، إلى غير ذلك،كما يعمل على تبين بعض خواص التركيب فى لغتهم ، فينتبه إلى كونهم يكرهون « التفخيم » فيردون «الطاء» إلى «التاء»، ويلفظون « الأصاتم » بدل « الأصاطم » ويتوقف أمام نطقهم المختلف لألفاظ مشتركة بينهم وبين قبائل أخرى ، فينطقون « نَكِلَ » فى الوقت الذى تنطق الحجاز « نَكَل » ، ويقولون « الكَلِمَة » فى حين تنطق الحجاز « الكِلْمَة » إلى غير ذلك من الحالات كما يتبين أحياناً بعض خواص التركيب فى لغتهم فيلا حظ أنهم « يكسرون فعيلاً فى كل شئ كان ثانيه أحد حروف الحلق » .

تكاد تنحصر ملاحظات الخليل فى لغة هذيل علـى الجـانب الدلالى ، إذ يـسـرد عدداً واسعاً من الألفاظ والدلالات الخاصة بهـم : « القُـمـعُل : القـدح الضـخم » ؛ « الكَرهاء : أعلى النُّقْرة » ؛ « الخموش : البـعـوص » ؛ « الفـريـج : البـارد » ؛ و«رُبدُ السـيف فرِندُه» و « كتـاب منمل : مكتوب » وغـيرها،وإلى هذا فـإنه يعين لنا بعضاً مـن المنتجات والمسميـات ، الخـاصة بهم ، مـثل : « الفـتر » ، وهى « سـهام صغـار » ؛ أو « الـربـابة » وهى « خـرقة تجعل فيها القداح » وغيرها .

لا يتوانى الخـليل فى غير مـوضع عن الجـمع وعن إبانة التـخـالف بين لغـة تميم ولغة الحجاز : فـــ « الكِـلْمَة » حجـازية و « الكُلمَة » تميـمة ؛ و « الـداوية » تعنى فى لـغة الحجـاز « مفـازة مـلـساء » وهـى « الدَّوية» عند تميم ، وغـيرها كمـا يتوقف أمام بعض مـسمياتـهم الخصوصيـة ، مثل تسميـتهم الإجاص « مشمـشاً » ، ويعالج بعضاً من تراكـيبهم الخصـوصيـة : يثبـتون الـياء والـواو فى « صَيِدَ » و « عَوِرَ » فيما يقول غيرهم : ؛ «صَـاد يصَادُ وعارَ يَعارُ » وغيرها .

يتضمن المعجم مـسرداً واسعاً عن لغة اليمن ، لاسيما فـى دلالاتها : « القُشعر» تعنى «القشـاء» و «القُنْفُعَة» « الفُرْقُـعَة » ؛ و«القـــحـبـة» « المـرأة » ؛ و « الكَحبَ » «البروق» وغيـرها . كما يتبين فـيها بعض ظواهر « القلب » : فما يـنطقونه « المضد» هو عند غـيرهم «ضـمـد» ؛ أو « العَنكوه والعنـكبـاه » عـندهم هو عند غـيـرهم «العنكبوت» ، إلى غير ذلك .

غـير أن الخـليل لا يتأخـر عن رصـد أحوال اللـغات عند قـبائل عدة ، أو لـغة الأمصار ، لاسيما فى البصرة ، أو يتوقف عند مـدن بعـينهـا مثل حـمص وعُـمـان وغيـرها ، وهو رصد نافع لأنه يـرصد فى غـالب الأحـيـان حـال العـربيـة فى زمن الفراهيدى . كما يعالج فى بعض الأحيان لغـة الـعـامـة فى العـــراق . وإذا كـانت مـلاحظـات الخـلـيل لا تخـلو فى هـذه « اللغات » الـعـربية مـن التـفـاتات نبيـهة ونافعة ، فإن جمعـه لألفاظ ومسميات من اللغـات غيـر العـربية ، مـثل الفـارسيـة والعبرانيـة والافريقية وغـيرها ، لا يضيف جـديـداً فى غالب الأحيان . فهـو يستعيد مـا هو معـروف عن بعض الألفـاظ غيـر العـربيـة فى الـقـرآن ، مـثل « الزقـوم » الأفريقيـة ، أو يورد عدداً من الألفاظ التى باتت شائعة فى الكلام الســارى أو المعروفة

على الأقل ، كما هو عليه الحال مع أسماء الشهور الرومية المعروفة فى بلاد الشام .

٤ - (ب) شواهد « العين »

يعـود الخليل فى المعـجم إلى القـرآن الكريم مستشـهداً بآياته ، تـامـة أو غـير تـامـة ، ملمـحـاً أحـيـاناً إلى القـراءات المخـتلفة ، لاسيما إلى قراءة ابن مسعود . أو يعود إلى عدد من الـتفاسير ، لاسـيما التى أخذها من الفقيـه الحسن البصـرى ، أو من فقيه البصـرة الآخر ابن سيرين ، أو من غيرهما كما يعود في بعض الأحيان إلى الأحـاديث النبـوية ، أو إلى عبـارات شهيـرة وردت على ألسنة الخلفاء الراشدين أو على لسان معاوية أو الحجاج بن يوسف وغيرهما .

وهو يعود إلى هذه اللغة « المرجـعية » طلباً لشاهد لغوى يعزز ما يسوقه من تفسير دلالى أو من تعليل نحـوى وخـلافهـما . إلا أنه يسـتـقى مـن الشـعـر غـالبـاً هذه الشواهد، أو من الأمثال أحياناً .

٤ - (ب) (١) الشواهد الشعرية

لا يكاد يخلو مدخل لفظى ، أو دلالة أحياناً فى المعجم من شـاهد شعرى ، وقد يرد كاملاً أو فى جزء منه ، ومعزواً أو من دون عزو . وقـد قمنا بـإحصاء الشـواهد الشعـرية فى الأجزاء الثمـانية للمـعجم ، وأتت الإحصائيات حسب التقسيم التالى :

يزيد عـدد الشواهد على ٣٠٣٥ بيـتاً شـعرياً ، وقـد وجـدناها تتـوزع فى أربع فئات :

- **أبيـات غيـر معـزوة** : ٧٧ بيتـاً (ما يعادل ٢,٥٣ بالمئة) ، وتعود إلى ٥٥ شاعراً (أى ١٨,٨٣ بالمئة) .

- **أبيـات جـاهلـية** : ١١٩٨ بيتاً (مـا يوازى ٣٩,٤٧ بالمـئـة) ، لـ ١٣٦ شـاعـراً (أى ٤٦,٥٧ بالمئة) .

- **أبيـات أمـوية** : ١٢٤٣ بيـتاً (مـا يعـادل ٤٠,٩٠ بالمئـة) ، لـ ٨٩ شـاعراً (أى ٣٠,٤٠ بالمئة) .

- **أبيات عـباسـية** : ٥١٧ بيـتاً (مـا يوازى ١٧,٠٣ بالمئـة) ، لـ ١٢ شـاعـراً (أى ٤,١٠ بالمئة) .

نخـلص من بنـود هذه القـائمـة الإحصائيـة للشعراء والأبيات الشـعرية إلى أن عدد الشعراء يقـرب من ثلاثمائة شـاعر

(٢٩٢ تحـديداً ، أو ربما أقل من ذلك ، طالما أن عـدداً ممن لم تُنسب إليهم أبيـاتهم قد ذكروا) . اللافت فى هـذه القائمة هو ضعف تمثـيل الفترة العـباسية من جـهة ، وقوة تمثـيل الفتـرتين الجاهليـة والأموية ، وهو تدبيـر طبـيـعى لاعـتبـارين : يعـود الاعتبار الأول إلى أن جامعى اللغة الأوائل قيدوا سجل « فصاحة زمنية » جعلوها فى الجاهلية أساساً وحـتى فى عدد محدود من شعراء الفترة العباسية الأولى . أما الاعتبار الثانى فيعود إلى « زمـنية » كتاب العين ، حيث إن الخليل عاد إلى عـدد محدود من مـعاصـرية بالطبع . ولكن إذا كـان عـدد الشعـراء العبـاسيـين محدوداً بمقـــارنته بشعراء الفترتين الجـاهلية والأمـوية ، فإن هذه النـســبـة تـزداد فى عـدد الشـــواهد الشعرية العباسية : فعدد الشعراء العباسيين لا يتجـاوز ٤,١٠ بالمئة على حين يبلغ عدد الشواهد الشـعرية العباسيـة ١٧,٠٣ بالمئة من مجموع الشواهد .

سبعة شعـراء يتصدرون هذه القائمة ، ممن استشـهد بشعرهم أكثر من مـئة مرة ، وهم بالترتيب : رؤبة بن العـجاج (٤٨٥ بيـتـاً) ، العـجـاج (٢٣٥) ، ذو الرمـة (٢٧١) ، الأعشى (٢٠٤) ، لبيد بن ربيعة العامـرى (١٧٣) ، مطيع بن إياس (١٦٦) وامرؤ القيس (١١٥) .

٤ - (ب) ٢ : الأمثال

يبـقى علينا أن نشيـر إلى إن « كتـاب العين » يشـتمل فى مواده على عدد كـبير مـن الأمـثال [1] : يرد المثل مثل « شاهد»

---

(١) - نبذات من الأمثال الواردة فى «كتاب العين » :

« المَثَل : الحديثُ نفسه ، وأكثر ما جاء فى القـرآن . . . (بمعنى) الخبر . . فصار خبرُه عن ذلك مثلاً » (٨/٢٢٨) ؛ « ما لفلان عافطة ولا نافطة » (٢/١٨) ؛ « لا تَعظينى ،و تَعَظْعَظـى » (٢/٢٢٨) ؛ يروى لنا فى مادة « عصو ، عصى » (ص ٢/١٩٨) كيف ذهب أحد الأبيات الشعرية مَثلاً ، وهى قـصة عرقوب من أهل يثرب ، « أكذب أهل زمانه موعداً » (٢/٢٩٦) ؛ « أبى الحَقينُ العـذْرَة » (٣/ ٥٠) ؛ « يأكلُ خُصْرَةً ويَرْبِضُ حَجْرَة » (٣/ ٧٥) ؛ « يومٌ بيَـومِ الحفض المُجَوَّر » (٣/١٠٨) ؛ « أعَنْ صبوحٍ تُرَقِّقُ » (٣/١٢٧) ؛ « إذا طلعَ الذابح النجم النابح » (٣/٢٠٣) ؛ « جَهيزَة » يضرب بها المثل فى الحمق (٣/ ٣٨٥) ؛ « لا تَهْـرِفُ حتى تَعرِف » (٤/ ٤٥) ؛ « اذهب هنيئـةً ولا تَنكَه » (٤/ ٩٤) ؛ « المعـزى تُبْهى ولا تُبْينى » (٤/٩٧) ؛ بَلَغَ قولُه قاموسَ البَحرَ » (أى قعره الأقصى - ٥/٨٨) ؛ « لُقَيْطَى خُلَيْطَى » (٥/١٠١) ؛ « وافق شَنٌّ طَبَقَة » (٥/١٠٨) ؛ « دُون هذا خَـرطُ القَتاد » (٥/١١٢) ؛ « نزاف نَزاف لم يبقَ فى البحـرِ غيرُ قُداف » (أى غـير حفنة (٥/١١٩) ؛ « حتى يؤوبَ الغَنَرِىُّ القارظُ» (٥/١٣٣) : « ليس قطاً مثل قَطىَ (٥/١٩٣) : « قد جاء غرثانُ فاربكوا له » (٥/٣٦٦) : « هى أكثر الأرض سَمنةً وعَسَلَةً » (٥/٣٦٩) ؛ « اطرقَ كَرا إن الـنعام بالقُرى » (٥/ ٤٠٠) ؛ «العَيرُ يضرِطُ والمكواة فى النار » (٥/ ٤٢١) ؛ « حـالَ الجـريضُ دون القـريض » (٦/٤٢) ؛ « ناجـزٌ بناجز» (٦/ ٧١) ؛ « إن الـعَجـزَ والتـوانى تـزاوجـا فـانتـجـا الفَـقـر » (٦/ ٩٢) ؛ « أنا جـذيلُه المُحكَّكُ ، وعُـذَيْـقُـهـا المُرَجَّبُ ، وحُـجَـيْـرُهـا =

أو « دليل » لتأكيد دلالة ما ، كما هو عليه البيت الشعرى فـى هذه الحالة . ولا يتأخر الخليل أحـيانـاً عن رواية الحكاية التى أدت إلى نشأة هذا المثل أو ذاك . وهى أمثلة ترد فى مواضع ومناسبات مـختلفة ، سواء فى الشعر أو الـشجاعة أو الحمق أو غـيرها ، وهى جاهلية المنشأ غالباً . ومن المعلوم أن عدداً من العلماء سارع فى عصر «الفراهيدى» إلى جـمع الأمثال ، مـثل يونس بن حبيب وأبو عبيدة وأبو فيد مؤرج السدوسى ، من دون أن يصلنا أى واحد من كتبهم .

٥ – أصول « كتاب العين » الثقافية

يشتمل « كتـاب العين » ، إلى مواده المعجـمية ، على مـعلومات أخـرى تتصل بأسمـاء علم أو بعادات معروفـة أو بوقائع إسلاميـة أو سابقة عليهـا ، حتى أنه يبدو فى بعض المواضع أشبه بموسوعـة ثقافية . وهو ، بقدر ما يفيدنا ، يعين حدوداً لقوله مثل مـعرفتـه ، أى يعين حـدوداً معرفـية بالتـالى . وهذا يمكننا من التـعـرف على الخلفية الثقافية فى المعجم من جهة ، ومن الوثوق منها ، من جهة أخـرى ، بوصفها قابلـة للتعـيين والمقارنـة مع ما نعـرفه من معطيات ومعلومات عمـا كان معروفا حتى عهد الخليل . هذا مـا يمكن أن نتأكد منه فى المعلومات نفسهـا « أى التأكد منها » ، وفى « الأفـق المـعـرفى » الذى يحـــد أى قول بالتالى .

لا يعنينا فى فـرز هذه المواد أن نتبـين تاريخيتهـا بالضرورة ، ذلك أن هذا السعى يتعدى مرادنا ، بل ابتغينا منه تبين «تعيين» التعـريفات . فنحن نجد على سبـيل المثال فى هذا الكم التـعريفى مـعلومات شـديدة التعيـــين : مـثـــل تعيين « الأهـــواز » أو «مساجد البصرة » أو « مظلات عُمان » أو ما جـــرى بين أبـى الدقيش والخليل ، أو ما قـاله زياد بن أبيه حـين قدم البـصرة عامـــلاً عليهـا ، أو خبـر هذه الشجرة :

= المُأرَّبُ » (٦/ ٩٤) ؛ « جئتُ بأمر بُجـر وداهية نُكـر » (٦/ ١١٨) ؛ « اتَّخَذَ فـلانٌ الليلَ جَمَـلاً » (٦/ ١٤٢) ؛ « ويلٌ للشجى من الخَلى » (٦/ ١٥٦) ؛ « ما بها صافِـرٌ » (٧/ ١١٤) ؛ « صَدَقَنى سنَّ بكرِه » (٧/ ١٩٨) ؛ « أصنعَ مُن سُرُفَة » (٧/ ٢٤٤) ؛ « لا افـعلُ ذلك السَّمَـرَ والقَـمَـرَ » (٧/ ٢٥٥) ، « أشـجع من أسـامـة » (٧/ ٣٢٤) ؛ « هاجت زبراؤه » (٧/ ٣٦٢) ؛ « أعيَـيتنى بأشُرٍ فكيفَ أرجُـوك بدردر » (٨/ ٧) ؛ « مـا يدرى فـلان قبيـلاً من دبـير » (٨/ ٣٣) ؛ «الـرائدُ لا يكذب أهله » (٨/ ٦٣) ، « أسخى من لافظة » (٨/ ١٦٢) وغيرها .

« الألـنبـج: حَـملُ شـجـرة بالهند تُرَبَّبُ بالعسل على خلقة الخوج ، مُجَرَّفُ الرأس يُجلب إلى العـراق وفى جوفـه نواة كنواة الخوج ، ومنـه اشتُقَّ الأنجبـات التى تُرَبَّبُ بالعسل من الأتُرجِّ والأهليلَجَة ونحوها ». ذلك أن هذه المواد المختلفة تجلب لنا صورة عن الظروف المـادية والزمنيـة المعـايشـة لإنتـاج « كتـاب العين » وتساعـدنا بالتالى على تبين « تاريخـيته » الـزمنية والمعـرفية فى آن واحد.

يشتـمل هذا الكم على أسماء أحـياء وقبـائل ، وعلى أخبار عن الأيام الجـاهلية وعن العادات والألعاب فـيها ، وعن عدد من الأقوام فى عـباداتهم ، سـواء الوثنيـة أو اليهودية أو المسيحية ، وعن معارفهم فى النجوم والحساب ، وعـن الأيام الإسلامية مع الرسول ﷺ والصحابة ، عدا ما بلغ الخليل من « قَصَص » السالفين .

٥ - (أ) : الأسماء

يتضمن المعجم قائمة واسعة من أسماء الأعلام[1] الدالة عـلى البـشـر أو على المواضع الجغرافيـة . نتعرف على «هالة» ، وهى أم حمـزة بن عبـد المطلب ، أو على الأسـمـاء التى بلغـت الخليل عن أخبـار الأولين ، مـثل أسـمـاء ولد آدم أو جـد إبراهيم عليـهما السـلام وغيـرهما . وإذا كانت التعيينات الجغرافية قليلة بل مقتضبة

---

(١) - قائمة من أسماء الأعلام الواردة فى « كتاب العين » :

- أسماء مواضع : « الجزيرة بـالبصرة : أرضٌ نخل بين البصرة والأُبُلَّة خُصَّت بهذا الاسم ، وجزيرة العـرب محلّتُها لأن البحرين بحر فارس الحبش ودجلة والفرات قـد أحاطـت بجزيرة العـرب ، وهـى أرضهـا ومعدنهـا » (٦/ ٦٢) ؛ « الأهـواز: سبعُ كور بين البـصرة وفارس ، لكل واحـدة منهن اسم ، على حـدة ، ويجمعـهن الأهواز » (٤/ ٧٣) ؛ «الكَرخ : اسم سـوق ببغـداد » (٤/ ١٥٦) ؛ « كـاوان : جزيرة فى بحـر البـصرة » (٥/ ٤٢١) ؛ « دمخ : اسم جـبل » (٤/ ٢٣٦) ؛ رُخَّـذ : اسـم مدينة » (٤/ ٢٤٤) ؛ « خُـرَيبة : مـوضـع بالبصـرة يُسمى بُصيرة الصغرى » (٤/ ٢٥٦) ؛ « الغـوطـة : موضع بالشـام ، كثير المـاء والـشجر » و « الغوطة : مدينة بدمشق » (٤/ ٤٣٥)؛ « الغَور: تِهامـة وما يلى اليمن» (٤/ ٤٤١) . أبوقـبيس : جبل مشـرف على مكة (٥/ ٨٦) ؛ « القيروان : اسم مـدينة (٥/ ١٤٣) ؛ « وفى ثغور الشام مـوضع يقال له : قُـبرُس » (٥/ ٢٥٢) ؛ « الدَّكَصَ : اسمُ نهر بالهند ، بـلغتهم » (٥/ ٤٢٥) ؛ « البـصرة : ... نزلها المسلمون أيام عمر بن الخطاب، وكتبوا إليه : إنا نزلْنا أرضاً بَصرَةً فسُمِّيَت بَصرة » (٧/ ١١٨) وغيرها .

- أسـمـاء أشخـاص : « هالة : أم حـمـزة بن عـبـد المطلب » (٤/ ٨٩) ؛ هى بنت أبى وهيـان بن بيـان من ولد آدم (٤/ ١٠٧)؛ شالخ : جـد إبراهيم (٤/ ١٧٠) ؛ « ذو جدن : اسم رجل من مـقاولة اليـمن » (٦/ ٨٣) ؛ « تدمر : اسم مدينة بناها الجان بإذن سليمان بن داود » ،وهو يستعيد فى هذا التعيين بيتاً للنابغة ﴿ ديوانه ، ص ١٣ ﴾ :

وخيسِ الجنِّ إنى قد أذنت لهم يَبنون تدمرَ بالصفاحِ والعَمَد » (٨/ ٤٠) وغيرها .

فى بعض الأحيان (« القيروان : اسم مدينة ») ، فإنها وافية ودقيقة فى أحيان أخرى، حين يتعلق الأمر بالبصرة أو بالأهواز المجاورة لها . كما تبين لنا بعض التعيينات عن الكيفيات التى توصل بها إلى معلوماته فهو يفسر بناء مدينة تدمر (« مدينة بناها الشيطان بإذن سليمان ابن داود ») وفقاً لما قرأه فى شعر النابغة الذبيانى (ورد البيت فى ديوانه ، ص ١٣):

وخيسِ الجنِّ إنى قد أذنتُ لهم
يبنون «تدمرَ» بالصفاح والعَمَد

٥ - (ب) القبائل

يشتمل « كتاب العين » على لوحة واسعة من أسماء القبائل العربية [1] ، مبيناً أفخاذها وأحياءها ، إلا أنها لوحة تسمية فى غالب الأحيان ، دون معلومات عن مواضعها أو عن تواريخها الخصوصية إلا فيما ندر . غير أننا نعلم

---

(١) نبذات عن القبائل العربية فى « كتاب العين » .

« فَخِذُ الرجل : نَفَرُه من حيِّه الذين هم أقربُ عشيرته إليه ، وهى أفخاذ العرب يذكر ، وإذا أُفردَ قيل: هذا فَخِذٌ أى: هذا حى » (٤/ ٢٤٦) ؛ « وأما القبيلة فمن قبائل العرب وسائر الناس » (٥/ ١٦٧) ؛

- الأزد : « ماسخه » حى من الأزد (٤/ ٢٠٦) ؛ الخزرج والأوس : حيان من الأنصار (٤/ ٣٢٧) ؛

- بنى أسد : فقعس : حى من بنى أسد (٢/ ٢٩١)

- تميم : و « عرين : حى من تميم » (٢/ ١١٧) ؛ « الحَبطات : حى من تميم » (٣/ ١٧٤) ؛« يربوع» قبيلة من تميم (٢/ ٣٤٢) ، بنو العنبر بن عمرو بن تميم (٥/ ١٨٢) ؛ البراجم : أحياء (٦/ ٢٠٩) ؛ صوفة (٧/ ١٦٢) ؛ مازن (٧/ ٣٧٦) .

- ربيعة : بنو حنيفة : حى من ربيعة (٣/ ٢٤٨) ؛ رقاش : حى من ربيعة (٥/ ٤٠) ؛ و « الذُّهلان : حيان من ربيعة؛ بنو ذُهَل بن شيبان ، وبنو ذُهَل بن ثعلبة » (٤/ ٣٩) ؛ هِنب وبنو هنب حيان من ربيعة (٤/ ٥٨) ؛ قبيلة يشكر (٥/ ٢٩٣) .

« أنمار : حى من ربيعة هم اليوم فى اليمن » (٨/ ٢٧١) ؛

- بنى سعد : « بنو عطارد : حى من بنى سعد » (٢/ ٣٢٧) ؛

- فزارة : « بنو السابياء : قوم فى بنى فزارة ، ويقال لهم : بنو العشراء » (٧/ ٣١٣) ؛

- قريش : وقريش كلهم ينسبون إلى فِهرِ بن غالب بن النَّضرِ بن كنانة (٤/ ٤٥) . بنو هبار : فخذ من قريش من أسد ابن عبد العُزَّى (٤/ ٤٧) . بنو معيط « حى » من قريش (٢/ ٢٨) .

- «بنو قريظة هم أحد حيَّى اليهود من السبطين اللذين كانا بالمدينة » (٥/ ١٣٣) .

- عبد القيس : « الفَسو : اسمٌ لزمَ حياً من العرب معروفين ، يقالُ لهم : الفُساة ، وهم : عبد القيس ، وقيل لهم: بنو فَسْوَة » (٧/ ٣٠٩) ؛ « العمور : حى من عبد القيس » (٢/ ١٣٧) ، عدوان حى من قيس (٢/ ٢١٦) ؛ « خفاجة : حى من قيس » (٤/ ١٦٣) ؛ « بنو قشير بن معب من قيس » و « بنو قشرمن عكل » (٥/ ٣٦) ؛ بنو غيظ : حى من قيس (٤/ ٤٣٩) ؛ ثقيف : حى من قيس (٥/ ١٣٨) ؛ لُكَيز : حى من عبد القيس (٥/ ٣٢١) ؛ شن (٦/ ٢٢٠) ؛

- مضر : « هوازن » قبيلة ضخمة من مُضَر (٤/ ١٥) ، مُزَينة (٧/ ٣٧٦)؛ =

أن أهل قريش يُنسبون إلى فِهر بن غالب ابن النضر بن كنانة ، وأنها تتوزع إلى أفخاذ وأحياء مثل: بنى هبار، وبنى معيط وغيرهما . بل يتيح لنا المعجم فى بعض الأحيان أن نتبين تكوين عدد من القبائل ، منها :

- أحياء وقبائل بنى تميم : عرين ، الحبطات ، يربوع ، بنو العنبر ، البراجم، صوفة ، مازن،وغيرها .

- بنو ربيعة : بنو حنيفة ، رقاش ، بنو ذهل بن شيبان ، بنو ذهل بن ثعلبة ، هنب ، بنو هنب ، يشكر،وغيرها ؛ كما يفيدنا المعجم أيضاً بوجود أحد أحياء هذه القبيلة : « أنمار » تحديداً ، فى اليمن، فى عهد الخليل .

- بنو عبد القيس : العمور ، عدوان، خفاجة ، بنو قشير بن معب ، بنو قشر بن عكل ، بنو غيظ ، ثقيف ، لُكَيز ، شن،وغيرها .

كما يذكر أيضا قبائل الأزد ،

= - هذيل : بنو لحيان : حى من هذيل (٣/ ٢٩٧) .

- قبائل متفرقة وغير معينة : بنو شقير : قبيلة (٥/ ٣٦) خشينة : حى من العرب (٤/ ١٧٠) ؛ « شعفر بطن من بنى ثعلبة يقال لهم :. بنو السعلاة » (٢/ ٣١٣) ؛ بنو عيش : قبيلة ، وهم بنو عائشة (٢/ ١٨٩) ؛ عتيب اسم قبيلة (٢/ ٧٧)؛بنو ذريح : حى من العرب (٣/ ٢٠٠) ؛ هداد : حى من العرب (٣/ ٣٤٨) ؛ «هزان » قبيلة أيضاً (٤/ ١٥) ؛ « هُدَيْل » اسم قبيلة (٤/ ٣٩) ؛ باهلة حى من العرب (٤/ ٥٥) ؛ جل وجلان (٦/ ١٨) ؛ بنو جُشم قبيلة من هوازن (٦/ ٤٠) ، حى جديس فى اليمامة (٦/ ٤٧) ؛ جديلة : قبيلة (٦/ ٧٩) ؛ « النَّجَدات » قومٌ من الحَرورية ينسبون إلى نجدة الحرورى » (٦/ ٨٥) ؛ قبيلة من بنى الهون بن خُزيمة ، وهم من القارة (٦/ ٢٧٨) ، سدوس (٧/ ١٨٥) ؛ بنو راسب (٧/ ٢٥٠) ؛ زبينة (٧/ ٣٧٤) ؛ إزد (٧/ ٣٧٨) ؛ طىء (٧/ ٤٦٧) ؛

وردت أخبار جمعه اللغة فى البوادى فى « إنباه الرواة » ص ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨ ، وفى « معجم الأدباء » . ص ١٣/ ١٦٩ .

- النَّبيث : حي من الأنصار (٨/ ١٣٠) ؛

- اليمن : « سبأ : اسمُ رجلٍ يجمعُ عامَّةَ قبائل اليمن وهو اسمُ بلدة ايضاً سكنتها مَلكتهم بلقيس » (٧/ ٣١٥) ؛ « عُرينة: اسم حى من اليمن » ؛ « معافر : قبيلة من اليمن » (٢/ ١٢٤) ؛ « يَنْعَم : حى من اليمن » (٢/ ١٦٣) ؛ «عقرس : حى من اليمن » (٢/ ٢٩٢) ؛ « جُرهُم » حى من اليمن (٤/ ١١٧)؛ « العَوقة : حى من اليمن » (٢/ ١٧٤) ؛ حدان : حى من اليمن (٣/ ٢٠) ؛ الحُرقة : حى من اليمن (٣/ ٤٥) ؛ « الهُزَر » قبيلة من اليمن (٤/ ١٣) ؛ بهراء حى من اليمن (٤/ ٤٩) ؛ « قَرَن : حى من اليمن منهم أويس القرنى (٥/ ١٤٢) « الناقم : حى باليمن » (٥/ ١٨١) ؛ القساملة : حى من اليمن (٥/ ٢٥٣)؛ السكاسك والسكاسكة : حى من اليمن (٥/ ٢٧٢) ؛ قيس كبة : حى من اليمن (٥/ ٢٨٥) ؛ شاكر : قبيلة من اليمن من همدان (٥/ ٢٩٣) ؛ جنادة (٦/ ٨٦) ؛ « جُذام اسم حى من اليمن هم من بنى أسد من خذيمة (٦/ ٩٧) ، جرم (٦/ ١١٩) ، شبام (٦/ ٢٧٢) صداء (٧/ ١٤٢) ، سد (٧/ ١٨٤)، بنو مسلية (٧/ ٢٩٨)، أوس (٧/ ٣٢٩) ؛ بُنانة (٨/ ٣٧٣) ؛

- الشام : « حُدَس » حى من اليمن بالشام » (٣/ ١٣١) ؛ « جَفْتَنة : قبيلة من اليمن ، ملوك بالشام (٦/ ١٤٦) وغيرها .

والأوس، والخزرج ، وبنى أسد ، وبنى سعد ، وبنى فزارة ، وبنى قريظة ،وبنى هوازن ، ومضر،وهذيل .

أو يورد أسماء أحياء وقبائل دون أن ينسبها مثل : بنى شقير ، وخشينة ، وشعفر ، وبنى عيش ، وعتيب ، وبنى ذريح ، وهداد ، وهزان ، وهديل ، وباهلة ، وجل،وجلان ، وجديس ، وجديلة ، وبنى راسب،وغيرها.

والمعجم يتوقف طويلاً لتعداد قبائل اليمن التى ينسبها كلها إلى رجل ، هو « سَبَأ » ، وهو اسم حملته بالتالى إحدى البلدات ، التى «سكنتها ملكتهم بلقيس». من هذه الأحياء والقبائل : عرينة ، ومعافر وينعم ، وعقرس ، وجرهم ، والعوقة ، وحدان ، والحرقة ، والهزر ، وبهراء ، وقرن ، والناقم ، والقساملة ، والسكاسكة، وقيس كبة ، وشاكر ، وجنادة ، وجذام ، وجرم ، وشبام ، وصداء ، وسد ، وبنى مسيلمة ، وأوس، وبنانة وغيرها . كما يعين أحياناً صلات نسب هذه القبائل والأحياء بعضها ببعض، مثل صلة جذام ببنى أسد من خزيمة، أو يبين لنا انتقالها ، مثل وجود الحى اليمنى «حدس» فى الشام وغيرها .

٥ - (ج) الفلك

إذا كنا شكونا من المعلومات الواردة فيما سبق من غياب الدقة فى بعض الأحيان (مالا يساعدنا فى بعض المواضع على تكوين صورة منسقة فى ميدان ما) ، فإننا لا نجد أسباباً للشكوى فى معلومات « كتاب العين » عن الفلك بنجومه وكواكبه وبروجه [1].

(١) - نبذات عن الفلك فى « كتاب العين » :

« المنجم يقول :الفَلك سبعةُ أطواقٍ دون السماء ، رُكِبَت فيها النجومُ السبعة ، فى كل طوقٍ نجم وبعضها أرفعُ من بعض تدور فيها بإذن الله » (٥/ ٣٧٤) ؛ « البُرج واحدٌ من بروج الفلك وهو اثنا عشر برجا » (٦/ ١١٤) ؛ « النجم : اسمٌ يقعُ على الثريا ، وكلّ منزل من منازل القمرِ سُمى نجماً ، وكلُّ كَوكبٍ من أعلامِ الكواكب يسمى نجماً ، والنجوم تَجمعُ الكواكب كلّها . . . والمنجِّمُ الذى ينظرُ فى النجوم » (٦/ ١٥٤) ؛ « يقال للنجوم عِلاطُ النجم : المعلق به . قال :

وأعلاطُ النجوم معلقات كحبل القرق ليس له انتصاب

قال : لأن النجوم أول ما تطلع مُصعدة فإذا ولّتَ للمغيب ذهب انتصابها .

وأعلاط النجوم وأفرادها ، التى ليست لها أسماء كخيل القِرق جعلها حجارة ، لأن تلك الحجارة أفراد لا اسم لها فكذلك هذه النجوم لا أسماء لها ، والقِرْقُ لعبة لهم ، جعلَها خيلاً لأنهم يلعبون هذه اللعبة بالحجارة » (٢/ ١٠-١١) ؛ «الدارة : دارة القمر » (٨/ ٥٧) ؛ « التِّنّين : نجمٌ من نجومِ السحاب وليس بكوكب ولكنه بياضٌ خفىٌ يكونُ جسدهُ فى شبيه من الماء وذَنَبُه دقيق أسود فيه التواءٌ يكون فى البرجِ السابعِ من رأسِه وهو يتنقلُ كتنقلِ الكواكبِ الجوارى ، واسمه بالفارسية « هَشْت أبير » فى حسابِ النجوم ، وهومن النحوس » (٨/ ١٠٨) وغيرها . =

وهى معلومات تتأتى من مصدرين على ما تبين لنا : من المعتقدات الشعبية ، التى تصل بين الظواهر الفلكية وبين وقوع أو حدوث أفعال مناخية أو إنسانية بعينها ؛ أو من «علم التنجيم» أو من «المنجم» حسبما يفيدنا الخليل فى غير موضع.

= - النجوم : « الشِّعرى العَبور : نجم خلف الجوزاء » (١/ ٢٥٢ و ٢/ ١٢٩) ؛ « وسعدُ بُلَع : نجم يجعلونه معرفة» (٢/ ١٥١) ؛ « العَوَّاء : نجم فى السماء (٠٠٠) ، وهى من نجوم السنبلة من أنواء البرد فى الربيع ، إذا طلعت وسقطتْ جاءتْ بالبرد ، ويُقال لها عَوّاء البرد » (٢/ ٢٧٠ و ٢٧١) ؛ « الرامح : نجم يقال له السماك المرْزَم » (٣/ ٢٢٦)؛ « الفكة : النجوم المستديرة ، التى إلى جانب بنات نعش ، وهى التى يسميها الصبيان : قصعة المساكين » (٥/ ٢٨٤) ؛ « الكَلْبُ من النجوم بحذاء الدَّلْو من أسفل ، وعلى طريقته نجم أخمر يُقال له : الرأعى » (٥/ ٣٧٦) ؛ «كيوان : نجمٌ يقال له : زَحل » (٥/ ٤٢١) ؛ « الجدَى : نجم فى السماء » (٦/ ١٦٧) ؛ « البَرْجيس : من أسماء النجوم » (٦/ ٢٠١) « « النَّسران : نجمان فى السماء يقال لأحدهما الواقع وللأخر الطائر ، معروفان » (٧/ ٢٤٢) ؛ « النَّوء: من أنواء النجوم ، وذلك إذا سقط نجمٌ بالغداة فغاب مع طلوع الفجر ، وطلع فى حياله نجم فى تلك الساعة على رأسِ أربعة عشر منزلاً من منازل القمر سُمِّى بذلك السَقوطُ والطلوعُ نوءاً من أنواء المطر والحر ،البرد » (٨/ ٣٩١) وغيرها .

- منازل القمر : « سعد الذابح ، وسعد بُلَعَ ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، نجوم من منازل القمر وهى بروج الجدى والدلو » (٣٢١) ؛ « الضِّيقُ والضيِّقة : منزلٌ للقمر بلزق الثُّريا مما يلى الدَّبران ، تزعمُ العربُ أنه نحس » (٥/ ١٨٦) ، والنعَّائم : من منازل القمر » (٢/ ١٦٢) ؛ « الأُدْحِيّ : منزل فى السماء بين النعائم وسعد الذابح ، يقال له : البَلْدَة » (٣/ ٢٨٠) ؛ « الغُفر من منازل القمر » (٤/ ٤٠٧) ؛ « الإكليل » من منازل القمر » ٥/ ٢٧٩) ؛ « الهالة : دارة القمر » (٤/ ٨٩) « الصَّرفة: كوكبٌ واحدٌخلف خراتى الأسد ، إذا طَلَعَ أمامُ الفجر فذاك أولُ الخريف ، وإذا غابَ مع طلوع الفجر فذاك أولُ الربيع ، وهو من منازل القمر » (٧/ ١١٠) . « البلدة : موضع لا نجومَ فيه بين النعائم وسعد الذابح ليس فيه كواكب عظام تكون علماً ، وهى من منازل القمر ، وهى من آخر البروج ،سُميت بلدةً وهى من برج القوس خالية إلا من كواكب صغار » (٨/ ٤٢) ، وغيرها .

- الكواكب : « الذابح : كوكب يقال له : سَعْدُ الذابح من منازل القمر فإذا طلع الذابح انجحر النابح » (٣/ ٢٠٣) « المَريخ من الكواكب بَهرام » (٤/ ٢٦١) ؛ « العيوق : كوكب بحيال الثريا إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت » (٢/ ١٧٩)؛ « عطارد : كوكبٌ لا يُفارقُ الشمس ، وهو كوكب الكتاب (٢/ ٣٢٧) ، الكوكب « حُضار» (٣/ ١٠٣) «وإذا اجتمعن الكواكب الخُنُسّ مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل سُمِّيتْ الوُضّح (٣/ ٢٦٦) . «سُهَيل: اسم كوكب يرى بالعراق ولا يرى بخراسان ويقالُ : إن سُهَيلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخَه الله كوكباً (٤/ ٧) «الزهرة : اسمُ كوكبٍ (٤/ ١٣) « السِّها : كوكبٌ صغير . يقال : هو الذى يسمى أسلم مع الكوكب الأوسط من بنات نعش (٤/ ٧٢) «الخُنُس: الكواكب الخمسة التى تجرى وتخنُس فى مجراها حتى يخفى ضوءُ الشمس ، وخُنوسُها : اختفاؤها بالنهار » (٤/ ١٩٩) ؛ « السِّماكان : كوكبان ينزل أحدهما بالقمر من برج السنبلة » (٥/ ٣١٨) ؛ « الشَّرَطان : كوكبان ، يُقال : إنهما قَرْنا الحَمَل ، هو أولُ نجم نزن الربيع » (٦ / ٢٣٤) ؛ « الفارطان : كوكبان متباينان أمام سرير بنات نعشٍ » (٧/ ٤١٩) ؛ «الرِّديف :كوكبٌ قريبٌ من النسر الواقع » (٨/ ٢٣) ؛ « الترأم من كواكب الجوزاء » (٨/ ١٣٩) ؛ « النثرة : كوكب فى السماء كأنه لَطْخُ سَحاب حيال كوكبين صغيرين تُسميه العرب نَثرة الأسد وهو من منازل الشمس والقمر ، وهو فى علم النجوم من بروج السرطان » (٨/ ٢١٩) وغيرها .

- البروج : « العَقْرَب : برج فى السماء ، وطلوعُها فى حد الشتاء » (٢/ ٢٩٧) ؛ الحَمَل : برجٌ من البروج الأثنى عشر » (٣/ ٢٤٠) ؛ « الحوت : برج من الأثنى عشر ، وهو آخرها » (٣٠/ ٢٨٢) ، « السمكة : برجٌ فى السماء يقال لها الحوت » (٥/ ٣١٧) ؛ « وكلُّ برجٍ من بروج السماء ثلاثون درجة » (٦/ ٧٨) ؛ « السرَّطَان : برجٌ فى السماء منه أنف الأسد » (٧/ ٢١١) ؛ هقعة (١/ ٩٦) ؛ عوهق (١/ ٩٧) ؛ رقع (١/ ١٥٧) ؛ « العذرة » (٢/ ٩٥) ؛ « الذِّراع » (٢/ ٩٨) الشهور : « الأرز : حسابٌ من مجارى القمر ، وهو فضولُ ما يَدخلُ بين الشهور والسنين » (٧/ ٣٩٨) وغيرها ، =

فهو لا يتـأخر عن تقديم صـورة عما عليـه الفـضـاء الخارجـى : فالسـمـاوات «سـبع » ، بين السـماء السـابعـة ، وهى «سدرة المنتـهى » ، و « السمـاء الدنيا » ، وهى « الأرقع » و « الرقـيع » يقع الفلك « دون » السـماء ؛ ويتـألف من « سـبعـة أطواق » ، لكل طـوق فيها « نجم » جرى « تركيـبه » بحيث يأتى بعضـها « أرفع من بـعض ».والـنجـــــــوم « تدور » فـى الأطواق ولكن . . . « بإذن الله » . إلا أن هذا التـعيـين لا يفيـدنا فى تبـين أمـور أخـرى مـثـل التـمـيـزات الـدقيـقـة بين النجـوم والكواكـب وغـيـرها . ويفيدنا المعـجم، على سـبـيل المثـال . بأن الفلك يتـألف من « أبراج » وأنهـا اثنـا عـشـر برجـاً منهـا : « العقـرب » وطـلوعـه فى حـد الشتـاء؛ و « الحوت » و « الحـمل » و « القوس » و « الثور » و « السمكة » ، و « الجوزاء » و « الدلو » و « الـسرطان » وغـيـرها ، كمـا يعـين لنا المعـجم عـدد درجات كل برج وهى ٣٠ . وهو يعدد لنا أسـمـاء النجـوم شـارحـاً أحـوال بعضـها ، مـثل النجوم التاليـة : التنين ، والعواء ، والشعرى العبور ، وسعد بلع ، والرامح ، والجدى ، والفكة ، والكلب ، وكيوان ، والبرجيس ، والنسران وغيرها . كما يعـين مواضعهـا فى بعض الأحيان ، فيـشير إلى أن « الشـعـرى العـبور » نجـم يقـع «خـلف الجـوزاء » ، وأن «الـفكة» نجـوم « مستـديرة » وأن « العـواء » مـن نجـوم « الـسـنبلة » وغـيـر ذلـك من التعـيينات ، كـما يعـدد لنا أسمـاء بعض الكـواكب، مـثـل: الذابح، والمـريخ، والعيوق ،وعطارد ، وحضار ، وسهيل ، والزهرة ، والسها، والخنس، والسماكان ، والشـرطان ، والفـارطان ، والرديف ، والتوأم والنثرة وغيرها . كـما يعمل أحياناً على تعيين مواضعـها : فـ « العيوق » يقع « بحيال الثريا » ، وهو « إذا طلعَ عُلِمَ أن الثـريا قد طلعت » ؛ كـما « لا يفـارق » عطارد الشمـس ، وأن كواكب « الخنس » الخمسة تخفى ضوء الشمس أحيانا وغيرها كما يتوسع فى تبيان « منازل القمر » مثل: النعائم، والغفـر، والإكليل ، والصرفة ، والبلدة وغيرها .

استقى الخليل هذه المعلومات من المنجمين خاصة وأننا نعرف عنه أنه كان ضالعاً فى علم التنجيم ، على الرغم من تنكره الدينى له ، على ما عُرف عنه .

إلا أن إيراد هذه المعلومات يبين لنا أنه استقاها فى بعض الأحوال من المعتقدات الشعبية خصوصا ، فهو يربط ، على سبيل المثال. بين نجم « التنين » ومنزل القمر « الضيق » من جهة و « النحوس » من جهة ثانية ؛ أو يجعل « عطارد » كوكب « الكُتّاب » ؛ أو مثل الجمع بين نجم « العواء » وسقوط البرد وغير ذلك .

غير أن تعيين هذه النجوم والكواكب يفيده فى بعض الأحيان فى تعيين المواقيت والتبدلات المناخية والفصول : فـ« العواء » يعد من أنواء البرد فى الربيع . وإذا طلع خراتى الأسد أمام الفجر « فذاك أول الخريف ، وإذا غاب مع طلوع الفجر فذاك أول الربيع » و « السرطان » هما « أول نجم فى الربيع » كما يبين لنا أيضا « حساب » أو تقويم النجوم ، أى الشهور والفصول ، سواء الرومية فى « حساب أهل الشام » [1] ، أو العربية [2] .

٥ - (د) قصص الأقوام

نقع فى مواد هذا المعجم على معلومات واسعة متصلة بحياة أقوام عديدين من العرب ، سواء فى وثنيتهم

---

(١) - نبذات عن التقويم الرومى فى « كتاب العين » :

عام الكبيس فى حساب أهل الشام (٥/ ٣١٦) ؛ « سُباط : اسم شهر بالرومية ، وهو فصل بين الربيع والشتاء ، وفيه كما يقولون تمام اليوم الذى تدور كسوره فى السنين فإذا تمَّ ذلك اليومُ فى ذلك الشهر سمى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس يُتيمن به إذا وُلِدَ فى تلك السنة ، أو قدم فيه إنسان » (٧/ ٢١٩) ؛ «تشرين : اسم شهر من شهور الخريف بالرومية» (٦/ ٢٤٥) ؛ « أيلول : اسم شهر من شهور الروم أول الخريف » (٨/ ٣٥٧) وغيرها .

(٢) - نبذات عن الشهور العربية فى « كتاب العين » :

ذو القعدة (١/ ١٤٢) ؛ شعبان (١/ ٢٦٥) ؛ جُمادى (٦/ ٩٠ و ٨/ ١٢٢) ، رجب وشعبان (٦/ ١١٣ و ٧/ ١١٥) ، وشوال (٦/ ٢٨٥) ؛ اسم الثلاثاء فى الجاهلية (٦/ ١١٦)؛ « رمضان : شهر الصوم » (٧/ ٣٩) ؛ صفر والمحرم (٧/ ١١٥)، « النسيئة » من الأشهر الحرم (٧/ ٣٠٦) ؛ «دبار » اسم ليلة الأربعاء فى الجاهلية (٨/ ٣٣) ؛ « البدر : القمر ليلة البدر وهى أربع عشرة » (٨/ ٣٤) ؛ ليلة البدر هى أطول ليلة فى السنة (٨/ ١١٢) ؛ « القَلْتَة » آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام (٨/ ١٢٢) وغيرها .

أو فى إسلامهم أو المسيحيين واليهود ، وغيرهم من الأقوام ممن جمع الخليل (أو وَصَلَتْه) أخبارهم .

٥ - (د) - ١ : أخبار الجاهلية

بدا لنا ضرورياً البدء بعرض ما يسوقه الخليل من أخبار عن عرب الجاهلية [١]

---

(١) - نبذات عن أخبار الجاهلية فى « كتاب العين » :

- فى المعتقدات : « النشع : جُعْلُ الكاهن » (١/ ٢٥٨) ؛ منازل الجن (٥/ ١١٤) ؛ وضع العرب كعاب الأرانب فى أرجلهم خشية الموت (٣٢٦) ؛ « العتيرة » (الذبح للأصنام فى رجب) - ٢/ ٦٥ ؛ عبادة الأصنام (٥/ ١٤١) ؛ ذبائح العرب فى رجب (٦/ ١١٣) ؛ « التابعة : جنية تكون مع الإنسان تتبعه حيثما ذهب » (٢/ ٧٨) ؛ « تزعم العرب أن الجن لا تدخل بيتا فيه الحَزَى » وهو نبات شبه الكرافس (٣/ ٢٧٤) ؛ مداواة داء الكلب (٥/ ٣٧٥) ؛ علاقة الجاهليين بالهلال (٣/ ٢٧) وغيرها .

- عن الشعراء : إبليس امرىء القيس (٥/ ٢٥٣) ؛ قول امرىء القيس عند مقتل والده (٣/ ٥٢) ؛ « كامل » فرس بنى امرىء القيس (٥/ ٣٧٩) ؛ « مِسحَل » اسم جنى الأعشى (٣/ ١٤٠) ؛ اسم ناقة ذى الرمة : « صيدح » (٣/ ١١٣) ؛ عادات الخطابة فى النادى (٤/ ٢٢٢) ؛ « دار الندوة » بمكة (٨/ ٧٦) ؛ قصة ذى الرمة مع مية (٣/ ١٥٦) ؛ السموءل بن عادياء «أوفى أهل زمانه » (٧/ ٢٦٧) وغيرها .

- من القصص : قصة سطيح الكاهن من بنى ذئب (٣/ ١٢٩) ؛ قصة ملك اليمن أبرهة حين ساق الفيل إلى « البيت » وأهلكه الله (٤/ ٤٩) ؛ ذو يزن ملك اليمن (٧/ ٣٨٧) قيدار جد العرب (٥/ ١٣٣) ؛ « شمر » ملك اليمن (٦/ ٢٦١) حكاية موت ملك اليمن الحارث بن آكل المرار (٨/ ٢٦١) حكاية ابن جلا (٦/ ١٨١) ؛ « قُباع بن ضبة أحمق أهل زمانه » (١/ ١٨٣) ؛ هَبَنَّقَة القيسى« : أحمق بنى قيس بن ثعلبة (٤/ ١١٢) ؛ « عوج بن عوق صاحب الصخرة الذى قتله موسى » (٢/ ١٨٥) ؛ قصة الضَّحّاك بن عدنان الذى « يقال مَلَكَ الأرض » (٣/ ٥٨) ؛ « تبَّع : اسم ملك من ملوك اليمن ، وكان مؤمناً » (٢٠/ ٧٩) ؛ مزيقياء ء أحد ملوك اليمن (٥/ ٩٥) ؛ قصة الضب « قاضى الدواب والطير » (٣/ ١٣٩ و ٧/ ١٤)؛ ذكر « عكراش أرمى أهل زمانه » (٢/ ٣٠٣) ؛« باقل » الأحمق (٥/ ١٧٠) ، عرقوب اليثربى « أكذب أهل زمانه موعداً» (٢/ ٢٩٦) ؛ عامر بن الظرب « حكيم العرب » من قيس (٨ / ١٥٩) معلومات عن الأحابيش » الذين انضموا إلى بنى الحارث فى حربهم مع قريش (٣/ ٩٨) ؛ أخبار عن حى « جُرهُم » اليمنى وعن نزولهم فى مكة وزواج إسماعيل فيهم وإلحادهم فى الحرم وإبادة الله لهم (٤/ ١١٧) ؛ ما حدث لجد النبى مع الثريد (٣/ ٤٠٥) قصة موت ملك اليمن أبى يكسوم الحبشى (٤/ ٤٩) ؛ قصة المثل « وافق شن طبقة » (٥/ ٠٨ - ١ و ٦/ ٢٢٠) ، يعمر بن الملوح وتحكيمه بين خزاعة وقصى عند اقتتالهم فى أمر البيت (٤/ ١٦٧) ؛ قصة مقتل أحد جلساء النعمان (٧/ ٢٢٧) « وإساف : اسم صنم كان لقريش ، ويقال : إن إسافا ونائلة كانا رجلاً وامرأة دخلا البيتَ فوجدا خلوةً ، فوثب إساف على نائلة فمسخهما الله حجرين » (٧/ ٣١٢) ؛ قصة « سنمار » بانى الأطام (٧/ ٣٤٣) وغيرها .

- عن العادات : مواسم أسواق العرب فى الجاهلية وموسم الحج (٧/ ٣٢٢) ؛ « وئيد» البنات (٨/ ٩٧) ؛ « رفادة » قريش (٨/ ٢٥) ؛ و « المرباع كانت العرب إذا غزت أخذَ رئيسهم رُبعَ الغنيمة وقَسَمَ بينهم ما بقى » (٢/ ١٣٣) ؛ «التلكيم» أوعادات الضيافة عند خولان بن عمرو بن قُضاعة (٥/ ٣٧٩) ؛ قصة زواج الأعراب فى الأحياء (٣/ ٦٤) ؛ زواج امرأة لقيط بن عدًى بعد موته (٧/ ١٤٣) ؛ « العَدَس : بترة من جنس الطاعون قلما يُسلم منها ، وبها مات أبو لهب » (٣٢١) ، حال « الصعاليك » (٣/ ٣٧٧) ؛ الاستقسام (٧/ ٣٧٠) طمر الماء فى بيض النعام فى الفلوات فى الشتاء (٨/ ١٢٠) وغيرها .

=

وهى أخبار واسعةِ تتصل بمعتقداتهم ، أو بقصصهم أو بعاداتهم ، أو بألعابهم سواء للصغار أو الصبيان أو الرجال ، أو تتصل بأيامهم الشهيرة ، أو بأخبار شعرائهم وغيرها .

فهو يبين لنا عدداً من التدابير السحرية التىتؤمنهم المكاره والمخاوف ، كأن يضعوا كعاب الأرانب فى أرجلهم خشية الموت ؛ أو صلاتهم بالجن وطردها ، كأن يضعوا فى البيوت نبات « الحَرْى » كما يعرض لعدد من عاداتهم فى عبادة الأصنام والذبائح وغيرها ، ويبين لنا شيئاً من عاداتهم فى « وثيد » البنات و «الاستقسام» وزواج الأعراب ، وعادات الضيافة ، وطمر الماء فى بيض النعام فى الفلوات فى الشتاء ، وقسمة الغنائم وغيرها . أو يعرض لـ« أيام » الجاهلية ، أى وقائعهم فى الحروب القبلية مثل أيام حليمة ، وبزاخة ، والوقيظ ، وعكاظ وغيرها،أو يشرح لنا شيئاً من فنونهم فى القتال ، مثل « المناجزة » أو مسميات الرمى فى النضال، أو أقوالهم فى الغارات وغيرها . أو يوضح لنا جوانب من الألعاب التى مارسوها لاسيما عند صبيان الأعراب، مثل ألعاب «البقيرى» و « المفايلة » و « القلو » و « الطث » و « المخراق » ؛ أو ألعاب الفرسان ، مثل « قصب السباق » و « الطبطابة » و «الأخطار» وغيرها،كما يتوقف أحياناً لسرد قصص الجاهلية ، التى أصبحت

= – عن أيام العرب : « يوم حليمة : وقعة كانت فى الجاهلية » (٤٣/ ٢٤٧) ؛ أقوال العرب فى الغارات (٤/ ٧٢) ؛ « المناجزة » فى الحرب (٦/ ٧١) ؛ « يوم بزاخة من أيام العرب معروف » (٤/ ٢١١) ؛ مسميات الرمى فى النضال (٤/ ١٨٦) ؛ عادات الحروب فى الجاهلية والفتح (٦/ ١٢٢)؛ « يوم الوقيظ » بين تميم وبكر (٥ / ٢٠٠) ؛ عن حرب عكاظ (٧/ ٣٥) ؛ سبب اندلاع الحرب بين بكر وتغلب (٧/ ٢٠٥) وغيرها .

– عن الألعاب : لعبة الصبيان « المقّة » أو المطّة » (٥/ ٢١) ؛ لاعب البقيرى (٥/ ١٥٨) « الجماح » لعبة للصبيان (٣/ ٨٨) ؛ « السحارة » لبعة الصبيان (٣/ ١٣٥) ؛ الفشخش فى لعب الصبيان (٤/ ١٧٢) ؛ لعبة « المفايلة » عند فتيان الأعراب وصبيانهم (٨/ ٣٣٥) ؛ لعبة « مداد قيس » للصبيان (٨/ ١٦)؛ « مخارجة لعبة لفتيان العرب » (٤/ ١٥٩) ؛ « المخراق » منديل لعبة للصبيان (٤/ ١٥٠) ؛ لعبة الجُنابى » (٦/ ١٤٨) لعبة « القُلو » (٥/ ٢١١) ؛ لعبة لصبيان العرب (٤/ ١٧) ؛ «الزَّدوُ » من لعب الصبيان بالجوز (٧/ ٣٧٧) ؛ لعبة « الطَّث » للصبيان (٧/ ٤٠٣) ؛ لعبة « الطُّبنة » أو الرحى للصبيان (٧/ ٤٣٨) « الهبهاب : لعبة لصبيان العراق » (٣/ ٣٥٦) ؛ « الزَّوف » أو الخفة فى الفروسية (٧/ ٣٨٨) ؛ « الرخ : من أدوات الشطرنج » (٤/ ١٣٩ و ٧/ ٣٦٢) ؛ « لعبة الشطرنج » (٢/ ١٤٨) ؛ معلومات عن « قصب السباق » (٤/ ٢١٣) ؛ « الطَبطابة » خشبة الفارس فى لعبة الكرة (٧/ ٤٠٧) ؛ و « الإخطار » وهو الإحراز فى اللعب بالجوز (٤/ ٢١٤)؛ الاحتيال عند صيادى الطيور (٣/ ٣٠٠) صيد البزاة (١٦١٥) وغيرها .

« مضرب مثل » مثل : قباع بن ضبة «أحمق أهل زمانه» ، أو عكراش « أرمى أهل زمانه » أو عرقوب « أكذب أهل زمانه موعداً » . أو يروى لنا أخبار ملوك اليمن مثل أبرهة حين ساق الفيل إلى «البيت» فأهلكه الله ؛ أو ذى يزن ، أو شمر ، أو الحارث بن آكل المرار ، أو تبع ، أو ومزيقياء ، أو أبى يكسوم الحبشى وغيرهم . أو يتوقف أمام أخبار شعراء الجاهلية : نتعرف إلى «كامل» فرس امرىء القيس ، وإلى « صيدح » ناقة ذى الرمة ، وإلى « مسحل » جِنِّى الأعشى، وشيطان امرىء القيس ، وإلى ما جرى لذى الرمة مع «مية» ، وإلى حال « الصعاليك » أو إلى عادات جاهلية فى الخطابة أو فى « دار الندوة » بمكة وغيرها .

٥ - (د) ٢ : الأخبار الإسلامية

نقع فى مواد المعجم على معلومات إسلامية فى غير صعيد وميدان (١) ،

---

(١) - نبذات عن الأخبار الإسلامية فى « كتاب العين » :

- عن التحريمات : منع الجارية من الصلاة فى بعض الأحوال (١/ ٢٩٤) ؛ نهى النبى عن الإدهان كل يوم (٤/ ٦٤) النهى عن المُجَثَّمَة (٦/ ١٠٠) نهى الرسول عن الانتباذ فى الدُّباء والحَنْتَم والنقير (٨/ ٨٢ - ٨٣) ؛ نهى النبى عن أكل اللحوم الحمر الأهلية يوم خيبر (٤/ ٩٠) إبطال الرسول لمعتقدات جاهلية فى الموت (٧/ ١٤٠) ؛ تحريم العلوج (٥/ ٢٠١) النهى عن التلقى (٥/ ٢١٦) النهى عن المضامين والملاقيح (٧/ ٥٢) ؛ استقباح اللعب فى النرد (٨/ ٢٢) ؛ كراهية الصلاة مع الشملة الصماء (٦/ ٢٦٦) ؛ تهديم الإسلام لخدن الجارية (٤/ ٢٣٢) ؛ عدم نهى النبى لـ « رقبة العقرب » (٥/ ١٠٦) ؛ نهى الرسول لبس مناجد من ذهب (٦/ ٨٤) ؛ قتل النبى للفأرة فى الحرم (٥/ ٨٢) ، هُبل صنم قريش ، وما جرى بين النبى وأبى سفيان يوم أُحُد (٤/ ٥٤) ؛ رفض النبى القيام بالتسعير (٣٢٩) ؛ « النَّطيحَة : ما تناطَحا فماتا ، كان أهلُ الجاهلية يأكلونها فنُهِىَ عنها » (٣/ ١٧٣) ؛ منع الرسول « بيع المضامين والملاقيح وحَبَلِ الحَبَلَة » (٣/ ٢٣٧) ؛ «خزع » (١/ ١١٤) وغيرها .

- عن القصص : حكاية « عطسة آدم » (٣١٩) ؛ بيت خديجة فى الجنة (٥/ ٦٨) ؛ وصف جهنم (٢/ ٥٧) ؛ وصف خلق السماوات من دون عمد (٢/ ٥٩) ؛ عن « تحكيم » الحرورية (٣/ ٢٥ و ٣/ ٦٧) ؛ « الحَفَظَة ، وهم الذين يُحْصُونَ أعمال بنى آدم من الملائكة » (٣/ ١٩٨) ؛ « الخَيزوم » اسم فرس جبريل (٣/ ١٦٦) ؛ قصة عن « آخر الزمان » (٣/ ١٣٤) وغيرها .

- من السيرة : تولع الرسول بالسواك (٢/ ٢٠٧) ؛ قصة غرس النبى لتمر « العجوة » فى المدينة (٢/ ١٨٣)؛ أوصاف « بريد » الرسول » (٨/ ٢٩) . ما قاله الرسول عند الفتح (٤/ ٩٧)؛ النزول : قصة نزول سورة «عبس» (٣٤٣) ؛ نزول جبريل على النبى (٧/ ٢٧٦) ؛ تبسُّم الرسول (٧/ ٢٧٧) ؛ ما كان الرسول يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس قبل أن يقسم (٧/ ١٦٣) ؛ « الدُّلدُل » بغلة الرسول (٨/ ٨) وغيرها .

- عن الوقائع الإسلامية : تهديم زياد بن أبيه للمواخير المنصوبة فى البصرة حين قدم إليها عاملاً عليها (٤/ ٢٦٢) ؛ قتل الإمام على لـ « ذى الثُّدَيَّة » بالنهروان » (٨/ ٥٥) ؛ تعذيب أصحاب النبى لردهم عن دينهم (٨/ ١٢٧) ؛ أحسب أهل زمانه فى عهد الحسن البصرى (٥/ ٢٩٤)؛ الاستقراض على أعطياتهم فى زمن الحجاج (٨/ ٢٩٤) « يقال للمشركين : عَبَدَة الطاغوت والأوثان» وللمسلمين : عُبَّادٌ يعبدون الله » (٢/ ٤٩) ؛ « وكان عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة مولعاً بأن يقول: اسْفِعا بيده ، أى: خذا بيده فأقماه » (٣٤١)؛ ما حدثَ بين أبى دلامة وأبى ليلى، =

مثل المعطيات المتعلقة بـ« البريد » وتفيدنا أن للبريد سككاً وأن « لكل سكة منها اثنا عشر ميلاً » وأن « السفر الذى يجوز فيه قَصرُ الصلاة أربعة بُرُدٍ ، وهى ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية التى فى طريق مكة » . أو تفيدنا عن « الجهاد » فى الرباطات الذى يقوم به « المطوعة » وهم « القوم الذين يتطوعون بالجهاد يخرجون إلى الرباطات »، أو عن أوضاع الذميين، وهم « أهل العهد » أو عن عاداتهم مثل « التكفير » وهو « إيماء الذمى برأسه » أو « الفلس » وهو « خاتم من رصاص يُختم به عنقُ من يعطى الجزية » وغيرها . أو عن السفن الحربية فى البصرة ، وهى «الحَرّاقات » أى « سفن فيها مرامى نيران يُرْمَى بها العدو فى البحر بالبصرة ، وهى أيضا بلغتهم : القلائين والفحامين » . وعن عادات أهل البصرة وتسمياتهم ، مثل الساقى « الذى يطوف عليهم بالماء » فى الأسواق ، وهو « البيّاب » وعن طلب الزواج من العربى فى « كابل » : « وإنما الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل عن علوجها أنهم إذا وجدوا رجلاً من العرب جسيماً جميلاً خلّوا بينه وبين نسائهم رجاءَ أن يُولدَ فيهم مثله » . أو عن عادة صبيان العرب الذين « إذا رأوا سُمانى قالوا : سُمانى قالوا : سمانى لُبادى البُدى لا تُراعى ، أى لا تفزعى والبُدى لا تُرى ، ولا يزالون يقولون ذلك وهى لابدة ، ويدورون بها حتى يأخذوها » وغيرها .

كما يشتمل المعجم على قائمة واسعة من التحريمات التى نهى الإسلام عنها ، مثل : منع الجارية من الصلاة فى بعض الأحوال ، والنهى عن الادهان فى كل يوم، وعن « المُجَثَّمَة » ، أو عن أكل لحوم الحُمُر ، أو عن « التلقى » وغيرها الكثير . كما نقع على أخبار من السيرة

= وهو على القضاء (٨/ ٢٣٠) ؛ قصة طلب رجال كابل إخلاء نسائهم بالعرب (٣/ ٢٣٤) ؛ و « مُزاحم أو أبو مُزاحم أولُ خاقانٍ وَلِىَ التُّركَ وقاتَلَ العربَ ، فَقُتِلَ زَمَنَ أسَد بن عبد الله القسرى » (٣/ ١٦٧) موضع فى البصرة حيث نبحت الكلاب على عائشة (٣ / ٣١٠) ؛ إشباع على بن طالب لرفع النون (٥/ ١٧١)؛خطب الحسن بن على بن أبى طالب أمام معاوية (٥/ ٢٤٣) ؛ ما قاله الإمام على مرة (٧/ ٢٣٥) ؛ « أبو فراس » كنية الفرزدق (٧/ ٢٤٥) ؛ دواعى تسمية « المهاجرين » (٣/ ٣٨٧) ؛ « المُذْهِب » الشيطان الذى يُفْتن القراء (٤/ ٤١) ؛ « الوَهط » وهى ضيعة عمرو بن العاص فى الطائف (٤/ ٧٦) غزو عمرو بن العاص لأرض فى أرض الشام (٧/ ١٩٥) وغيرها .

النبوية ، مثل تولع الرسول ﷺ بالسواك ، أو غرسه لتمر « العجوة » فى المدينة ، أو ما كان يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس ، أو قصة نزول إحدى سور القرآن عليه وغيرها . كما نتعرف على عدد من الوقائع الإسلامية ، سواء ما جرى فى عهد الرسول ، أو فى عهد الخلفاء ، مثل غزو عمرو بن العاص لأرض فى بلاد الشام ، أو قتل الإمام على لذى الثدية بالنهروان ، أو تهديم زياد بن أبيه للمواخير فى البصرة حين حل فيها عاملاً أو الاستقراض على الأعطيات فى عهد الحجاج وغيرها .

٥ - (د) ٣ : أخبار النصارى

إذا كان الخليل ينسب النصارى [1] إلى المسيح ، مميزاً بينه وبين « المسيح الدجال » . فإنه يقيم التفريق بين « النصارى » و « النسطورية » (وهم « أمة

---

(١) : نبذات عن أخبار النصارى من « كتاب العين » :

- عن العبادات : « الشبر » (القربان - ١/ ٢٥٨) ؛ « الشَّبَرُ : القربان ، وهو شئ يُعطيه النصارى بعضهُم بعضاً يتقربون به » (٦/ ٢٥٨) ؛ « والحلوان : ما يُعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته» (٣/ ٢٩٥) ؛ « الصَّليب : ما يتخذه النصارى » (٧/ ١٢٨) وغيرها .

- عن الأعياد : « الفِصْح : فِطر النصارى » (٣/ ١٢١) ؛ « الهِنْزَمِن » عيدٌ من أعياد النصارى (٤/ ١٣٠) ؛

- عن رجال الدين : « الرهبانية : مصدر الراهب . والترهب : التعبدُ فى صومعة والجميع : الرُّهبان » (٤/ ٤٧) « الوافه : القيم على بيت النصارى الذى فيه صليبهم » (٤/ ٩٦) ؛ « البيعة : كنيسة النصارى » (٢/ ٢٦٥) ؛ « العَسْطوس من رؤوس النصارى بالنبطية » (٢/ ٣٢٧) ؛ « الأسقف : رأس من رؤوس النصارى » (٥/ ٨٢) ؛ « الحواريون : الذين كانوا مع عيسى عليه السلام ينصرونه ، كانوا قصارين . . فلما جرى على ألسنة الناس سُمِّىَ كل ناصر حوارياً » (٣/ ٢٨٨) ؛ « القَسُّ رأسٌ من رؤوس النصارى . وكذلك القسيس » (٥/ ١٢) ؛ « الهيكل بيتٌ للنصارى فيه صنم على خلقة مريم عليها السلام فيما يذكر ، قال :

مشىَ النصارى حول بيتِ الهيكل » (٣/ ٣٧٧) ؛

« الشماس من رؤساء النصارى الذى يحلقُ وسط رأسه لازماً البيعة ، والجميع : الشمامسة » (٦/ ٢٣٠) ؛ « والأبيل : من رؤوس النصارى ، وهو الأَبْيَلى » (٨/ ٣٤٨) وغيرها .

- ويقال : كانت أم مريم تسمى حنة » (٣/ ٢٩) ؛ عن « المسيح » و« المسيح الدجال » (٣/ ١٥٦ و ٦/ ٨٠)؛ « راحيل » : « اسم أم يوسف» (٣/ ٢٠٨) وغيرها .

- عن العادات : من عادات المسيحيين فى الخضوع الدينى (٥/ ٧٩) ؛ قال الفرزدق :

وجئنَ بأولاد النصارى إليكم حبالى وفى أعناقهن المراصع

أى : الختم فى أعناقهن (١/ ٣٠٠ - ٣٠١) ؛ « الركوسية : قومٌ لهم دين بين النصارى والصابئين ، ويقال : هم نصارى » (٥/ ٣١٠)؛ « النسطورية : أمة من النصارى يخالفون بقيتهم بالرومية : نسطورس » (٧/ ٣٣٨) وغيرها .

من النصارى يخالفون بقيتهم ») ، و « الركوسية » (وهم « قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ، ويقال: هم نصارى ») إلا أن معلوماته عن « النصارى » تبدو متصلة بأخبارهم سواء فى النبطية أو الرومية ، لا بمسيحيى الجزيرة العربية . وهو يعدد لنا قسما من عباداتهم مثل « القربان » أو « الحلوان » أو عدداً من رموزهم مثل « الصليب » وخلافه ، أو أعيادهم مثل «الفصح» وغيره . ويتوقف أمام رجال دينهم، مثل « الراهب » ، وهو « المتعبد فى صومعة » أو «الوافه » أو «الأسقف» و « القس » و « القسيس» و « الأبيل » و« الشماس » ملاحظاً أن الأخير منهم «يحلق وسط رأسه» و « يلزم البيعة » أى الكنيسة . كما يلاحظ أيضا أنه يوجد فى الكنيسة « صنم على خلقة مريم » وغيرها .

٥ - (د) ٤ : أخبار اليهود

يقيم الخليل التمييز بين اليهود [1]

---

(١) : نبذات عن أخبار اليهود فى « كتاب العين » :

اليهود لغة وأصلاً (٤/ ٧٦) « السبط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب وكان بنو إسرائيل اثنى عشر سبطاً (٧/ ٢١٩) ؛

- العبادات : « الشمعلة » قراءة اليهود (٢/ ٣١٣) ؛ وضع أحد أحبار اليهود سبعين كتاباً من صنوف العلم (٥/ ٣٠) « النذير » فى الكنائس ، وقد يكون ولداً (٨/ ١٨١) ؛ « الأسفار أجزاء التوراة ، وجزء منه سفر ، والتوراة خمسة أسفار أى كتب . سفرٌ يخرج من بنى إسرائيل من مصر وسفر لسيرة الملوك ، وسفر الوصية وسفر مكرر » (٧/ ٢٤٧) ؛ « الزبور » كتاب اليهود (٧/ ٣٦٢) ؛ مواريث بنى إسرائيل (٥/ ٣١٣) ؛ محاريب » الصلاة عند بنى إسرائيل (٣/ ٢١٤) « صلاة اليهود أو « التهنيم » فى بيعهم أى الصلاة بأصوات خفية (٤/ ٦٠) ؛ « وفى الحديث : « كأنكم اليهودُ خرجوا من فُهْرِهم » أى : من موضعِ مدارسِهم الذى يجتمعون فيه كالعيد يُصلون فيه » (٤/ ٤٥) ؛ المُحَرَّر فى بنى اسرائيل : النذيرة كانوا يجعلون الولد نذيرة لخدمة الكنيسة ما عاش لا يسعه تركه فى دينهم » (٣/ ٢٤)؛ مدينة لوط « سدوم » (٧/ ٢٣٤) وغيرها .

- قصص : تعليم موسى التوراة لبنى إسرائيل (٥/ ١٢٩ و ١٣٠) ؛ قصة بغال سليمان بن داود (٣٢١) ؛ قصة القوم « حَدَس » البغّالين فى عهد سليمان بن داود (٣/ ١٣١) ؛ عمالقة فى الشام فى عهد موسى ؛ (٢/ ٣٠١) «الخَضِر : نبى معمر ، محجوب عن الأبصار ، وهو نبى من بنى إسرائيل ، وهو صاحبُ موسى الذى التقى معه بمجمع البحرين » (٤/ ١٧٥) ؛ قارون المنافق ابن عم موسى (٥/ ١٤٣) ؛ عن طائر « الحِدأة » الذى يصيد الجرذان لسليمان بن داود (٣/ ٢٧٨) « المِنْسَأة » عصا سليمان (٧/ ٣٠٦) « الهامة : رأس كل شئ من الروحانيين» (٤/ ٩٩) ؛ صنع سفينة نوح (٦/ ١٦٠) ؛ انتشار نسل فروخ من ولد إبراهيم (٤/ ٢٥٣) « آصف » كاتب سليمان (٧/ ١٦٥) ؛ (٤/ ٦٠) وغيرها .

من أدوية اليهود (٥/ ١٧٥) ؛ قلاع اليهود من قُريظة (٧/ ١٧٦) ؛ ما قاله تُبَّعَ فى يهود المدينة ، بنى قريظة وبنى النضير (٧/ ٢١٩)؛ عيد اليهود يوم السبت (٧/ ٢٣٨) وغيرها .

عامة وبين يهود قريظه أو المدينة فى الجزيرة إلا أن معلوماته تتوقف خاصة عند تاريخ اليهود ، لاسيما الدينى منه . فيبين لنا شيئاً عن عباداتهم ، مثل « الشمعلة » أو «التنهيم » أى القراءة فى كتبهم الدينية ، وقد تكون « بأصوات خفية » . أو يشرح لنا كتبهم الدينية ، مثل التوراة ، وهى عنده « خمسة أسفار : « سفر يخرج من بنى إسرائيل من مصر ، وسفر لسيرة الملوك ، وسفر الوصية ، وسفر مكرر » ، أو « الزبور » وغيرها . كما يعرض للقصص اليهودى ، مثل قصة بغال سليمان بن داود ، أو بناء سفينة نوح، أو عمالقة الشام فى عهد موسى وغيرها .

٥ – (د) ٥ : أخبار متفرقة عن الأقوام

كما يتبين لنا فى نبذات المعلومات هذه ما كان يعرفه الخليل عن أقوام وشعوب غير عربية أو غير مجاورة لهم ، أو عن أخبارهم (١) . ونقع فى هذه النبذات على الأقوام التالية : « الترك » ،

---

(١) : نبذات عن أخبار متفرقة عن الأقوام فى « كتاب العين » :

« الجيل : كل صنف من الناس ، التُّرك : جيلٌ ، والصين : جيلٌ ، والعَرَبُ : جيل » (٦/ ١٧٩) ؛ « جَيْلان : جيلٌ من المشركين خلف الدَّيْلَم » (٦/ ١٧٩) ؛ « والبَعْل : صنم كان لقوم إلياس » (٢/ ١٥٠) ؛ « الدَّعْكَسَة : لَعِبُ أخبار عن ضرب هرقل ، ملك الروم ، ولأول مرة الدنانير ، وعن إحداثه البيعة (٤/ ١١١) ؛ « المجوس : يدوزون وقد أخذَ بعضهُم يدَ بعضٍ كالرقص » (٢/ ٣٠٦)؛ « البرهْمَنُ بالسمتية: عالِمُهم وعابدُهم » (أى فى الهند ٤/ ١٣٠) ؛ « خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك » (٤/ ١٥٢) ؛ « دَغاوة : جيل من السودان خَلَفَ الزنج فى جزيرة البحر » (٤/ ٢٣٧) ؛ « القبط أهل مصر وبنكها » (٥/ ١٠٩) ؛ نسل الترك والصين (٥/ ٢٥٧) ؛ الكُردُ (٥/ ٣٢٦) يعود الكبريت الأحمر إلى بلاد « التبت » فى وادى النمل (٥/ ٤٣٠) الزُّنج والزُّنج : جيلٌ من السودان » (٦/ ٧١) ؛ « السُّمَنيَّة : قومٌ من أهلِ الهند لهم دين على حدة ، دهريون » (٧/ ٢٧٤) ؛ « الزط : جيل من السودان ، وهم جيل من أهل الهند ، إليهم تنسب الثياب الزطية » (٧/ ٣٤٧) «قوم ينزلون سواءِ العراق» (٧/ ٤٣٩) المئذ : جيل من الهند بمنزلة الكرد يغزون المسلمين فى البحر » (٨/ ٢٠٤) ؛ « بَربَر : جيلٌ من الناس سئ الخلق ، ويقال إنهم من ولدِ بر بن قيس بن عيلان » (٨/ ٢٦٠) ؛ « النُّوبة : ضربٌ من السودان » (٨/ ٣٧٩) وغيرها .

و « الصين » ، و « قوم إلياس » ، و « المجوس» و «الهند» ،و « السودان»، و « القبط » ، و « الكرد » ، و «الزنج » و « أهل كابل » . كما يفيدنا عن وقوع حروب بين هذه الأقوام والمسلمين ، خاصة فى عهد الفتح ، أو عن عباداتهم . إلا أنها معلومات شديدة الاقتضاب .

٥ - (هـ) الحساب

يشتمل المعجم على معطيات فى الحساب [1] ، سواء أكان الحساب العادى فى الجمع والضرب والجداء وغيرها أو «حساب الجمل ». أما عمليات «الجداء» فـ « يقال : جداء عشرة فى عشرة فيقال: مائة ». و «الجذر » هو « أصله الذى يُضرب بعضه فى بعضه ، وجملته البُرجان. يقال : ما جذر مائة ؟ فيقال : عشرة » . كما يفيدنا أيضاً عن « حساب الجمل » ، وهو « ما قُطع على حروف أبى جاد » .

٦ - التحقق من « كتاب العين »

قمنا فى الفقرات السابقة باستعراض عدد من الميادين والمعلومات التى يتضمنها المعجم فى مواده المختلفة ، بحيث بدا لنا المعجم فى عدد من مداخله اللفظية ، وفى التعريفات المقابلة لها ، أشبه بموسوعة ثقافية منه بمعجم مرادفات . وأفادنا هذا العرض فى التعرف إلى جوانب من الخلفية الثقافية و اللغوية التى ينهض عليها «كتاب العين»

---

(١) : نبذات عن الحساب فى « كتاب العين » :

« هَوَّز : حروفٌ وضعت لحساب الجمل ، الهاء : خمسة ، والواو : ستة ، والزاى : سبعة » (٤/ ٧٣) ؛ «الواحد : أول عدد من الحساب » (٣/ ٢٨١) ؛ عن العدد (١/ ٢٨٦) « ويقولون : عشرة دراهم وزن سبعة ، لأنهم جعلوا عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل » (٣٤٥) ؛ « الكَسرُ من الحساب : ما لم يكن سهماً تاماً ، وجمعه كسور » (٥/ ٣٠٧) ؛ « الكُندُر : ضرب من حساب الروم » (٥/ ٤٢٩) ؛ « الجذر » (٦/ ٩٣) ؛ حساب البُرجان (٦/ ١١٥) ؛ «الجُمْلَة : جماعةُ كل شئ بكمالهِ من الحساب وغيره » (٦/ ١٤٣) ؛ « حسابُ الجمل : ما قُطِعَ على حروفِ أبى جاد » (٦/ ١٤٣) ؛ « الضاد مع الصاد معقوم ، لم تدخلا معاً فى كلمة من كلامِ العربِ إلافى كلمة واحدة وُضِعَتْ مثالاً لبعض حساب الجملِ ، وهى « صعفض » هكذا تأسيسها ، وبيان ذلك أنها تُفَسَّرُ فى الحساب على أن الصاد ستون ، والعين سبعون ، والفاء ثمانون ، والضاد تسعون ، فلما قُبِحَت فى اللفظ ، حُوِّلت الضاد إلى الصاد فقيل: «صعفص» (٧/ ٥) ؛ « الجُداء: مبلغُ حسابِ الضربِ ، ثلاثة فى اثنين ، جُداء ذلك: ستة » (٦/ ١٦٩) وغيرها .

بقدر ما أتاح لنا تبين « زمنيته المعرفية » .

هل يمكننا القول ، بعد هذا الاستعراض ، ما إذا كانت هذه الأصول اللغوية والثقافية « أصلية » أم « مزيدة » : هل أضاف الشراح والنساخ على المادة الأصلية ؟ هل نجد فى هذه المادة معلومات لا ترقى إلى معارف الخليل فى عصره ، بل إلى عصور لاحقة عليه ؟

لا نقوى على التوقف أمام هذه المعلومات : فهى واسعة تطاول ميادين عدة من المعارف والأخبار ، من جهة ، عدا أننا لا نستطيع دائماً ، ولا نملك بالضرورة من المعلومات الموثقة عن معارف عصر الخليل ما يمكننا من إجراء المقارنات والمقابلات التى ندعو إليها . فنحن نشك فى زيادة عبارة هنا أو هناك فى المعجم أضافها النساخ ، مثل وقوعنا فى مواضع محدودة فى المعجم على عبارتى « أهل الكوفة » و « أهل البصرة » فى النحو ، ذلك أن قيام هاتين المدرستين وتعينهما على هذه الشاكلة حصل بعد موت الخليل ، لا فى زمانه .

نشك فى هذه الزيادات ، كما نشك فى غيرها من سقطات المعجم فى طبعته المحققة : فقد أفادتنا المصادر أن الخليل ، على ما قال ابن سلام فى « طبقات فحول الشعراء » ، « استخرج من العروض ، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم » [1] وأفادتنا المصادر أيضاً أن «الأخفش» زاد بحراً شعرياً واحداً ، هو «المتدارك » ، على قائمة البحور الشعرية التى استخرجها الخليل . نتأكد من وجود هذه البحور فى المعجم (ومن وجود غيرها فى أمور العروض والقافية وخلافها مما يتصل بالشعر) إلا أننا لا نجد أثراً يذكر للبحور التالية : « الطويل » فى مادة « طول » (٧/ ٤٤٩ - ٤٥١) . و « الكامل » فى مادة « كمل » (٥/ ٣٧٨ - ٣٧٩) ، و « السريع » فى مادة «سرع» (١/ ٢٣- ١٣٣)، و «الخفيف» فى مادة « خفّ » (٤/ ١٤٣ - ٤٤) ، و« المضارع » فى مادة « ضرع » (١/ ٢٦٩ - ٢٧٠) ، و « المقتضب » فى مادة « قضب » (٥/ ٥٢- ٥٣) وغيرها .

يمكننا أن نتساءل ، بالمقابل ، عن غياب عدد من المعطيات عن الألحان

---

(١) محمد بن سلام الجمحى : طبقات فحول الشعراء » ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، السفر الأول ، ص ٢٢ .

والأنغام فى المعجم المحقق ، بعد أن أفادتنا المصادر عن مساهمات الخليل ، بل عن وضعه مؤلفاً فى هذا الميدان .

أهى زيادات وهفوات النساخ ؟ يمكننا أن نثير هذا السؤال ، إلا أن هذه الملاحظات لا تتصل - على قيمتها - بمراد المعجم الأساسى ، وهو ضبط ألفاظ العربية ، « بحيث لا يخرج منها شىء » ، حسب عبارة الخليل نفسه فى تقديم معجمه. ولكن أهو معجمه حقاً ؟

لا يتوانى عن طرح هذا السؤال علماء ودارسون ، قدامى ومحدثون ، منذ وصول نسخة « كتاب العين » إلى البصرة فى سنة ٢٤٨ هـ ، من دون أن تصل هذه التحقيقات - على قيمة بعضها - إلى حل ناجز . إلا أنه بدا لنا مفيداً ، قبل السعى فى عملية الإجابة هذه ، أن نتبين حدود المشكلة المطروحة ، فلا تبدد الشكوك - وهى مصيبة وذات نفع فى بعض الأحيان- أو لا تأخذ معها . . . « كتاب العين » برمته .

يمكننا أن نتحدث عن هفوات وزيادات وأخطاء مطبعية فى طبعة «العين » المحققة - على الرغم من عمل المحققَين المضنى والثمين فى التحقيق والتصحيح - من دون أن تَغُضَّى هذه المعايب من قيمة الكتاب المحقق بفضل جهود هذين العالِمَين خاصة وأنهما أعادا إلينا هذا المعجم الفريد فى أسبقيته ، فى غنى مواده اللغوية وهى طريقته المبتكرة فى إحصاء العربية . ونحن لا نسوق هذا الكلام من باب التجامل أو اللياقات الاجتماعية ، بل لأننا وجدنا أن نقد « كتاب العين » ، على الرغم من وجاهته وجديته أحياناً ، بلبل أكثر مما أوضح واقع المشكلة وحدودها .

انشغل القدامى والمحدثون بملاحظة بعض ظواهر التخليط فى مواد المعجم أو الزيادات فيه ، أكثر مما اشتغلوا على التحقق من مواده الأصيلة والنافعة إذا جاز القول . فلا تفتح كتاباً فى النحو واللغة والمعاجم فى العربية ، إلا وتلقى القسم الغالب من المادة المخصصة لـ « كتاب العين » مقتصراً على التشكيك به . وهو تشكيك يطيح بـ « إجمالى » الكتاب ، إذا صح القول ، لا ببعض بنوده وفقراته وحسب ، على غرار ما فعله ابن جنى ،

حين أنكر صدوره عن «الفراهيدى» . سارع الكثيرون إلى ملاحظة هذه النقيصة أو تلك ، غافلين فى بعض الأحيان عن الحقيقة التالية . وهى أن مجمل المعاجم العربية اتخذت من كتاب «العين » فى نسخه المتوافرة أساساً ، أو صلباً تكونت. حوله موادها المعجمية فلا نفتح ورقة من «المخصص»، أو من «تهذيب اللغة» ، أو من «لسان العرب» وغيرها إلا ونقع على نقول من « كتاب العين». ينكرونه وهو فى أساس تآليفهم !

ولم يتأخر المحققان العراقيان عن القول فى تقديمهما للطبعة المحققة : «ولكننا حين نتصفح « تهذيب اللغة » ونقابله بما فى « كتاب العين » نعجب من أمر الرجل الذى حاول فى غير ذكاء أن يجمع بين تحامله على «الليث» وغضه من شأنه ، ونهب ما فى كتابه ، على حد زعمه ، ليبنى كتابه عليه . لقد كان «العين» بكل ما فيه من ترجمات وبيانات وتفسيرات أساس كتابه الذى لم يزد عليه إلا روايات ونقولاً من غير الخليل ، ولم يضف شيئاً على ما فعله الخليل الذى يسميه بالليث أو بابن المظفر إلا مفردات أهملها الخليل . أما ما كان يرد به على الليث ، ويزعم أنه مصحف أو أنه غير معروف فأكثره مزاعم يبطلها مراجعة نصوص « العين » . وقد وضح لدينا فى كثير من الأحيان أن الأزهرى كان لا يتوانى عن النيل من «العين» أو نسبة التخليط إليه ولو باطلاً » (١) .

أنكر هذا العالم أو ذاك ورود هذه العبارة أو تلك فى « كتاب العين » . إلا أن أحداً لم ينكر « عربية » هذا المؤلف .

تناولت الانتقادات إمكان نسبة بعض الاجتهادات النحوية أو تلك فى المعجم للمدرسة الكوفية لا للخليل ، من دون أن يتوقف أحدهم للإشارة إلى أن هذه الاجتهادات لا تقع خارج العربية بل فى صلبها . وهى اجتهادات قد تثير شكوكاً حول نسبتها إلى الخليل (على الرغم من كون الاجتهادات الكوفية لم تكن بينة بعد فى عهده ، بحيث تنسب لـ« أهل الكوفة » لا له) ، لا إلى علم العربية على أية حال كما أنكر هذا الدارس أو ذاك ورود نقول فى « كتاب العين » عن أعراب لم

---

(١) فى مقدمة « كتاب العين » ، ص ٢٠ - ٢١ .

يشافههم الخليل ، من دون أن ينكر . . . عربية هذه النقول .

نخرج من هذا القول إلى الاستنتاج التالى . وهو أن « كتاب العين » موضوع ، فى أصعب الاحتمالات ، فى العقد الخامس من القرن الثالث الهجرى (متخذين من وصول نسخته إلى البصرة فى سنة ٢٤٨ هـ مؤشرا زمنياً للتأليف) ، وأنه منسوب فى مادته اللغوية إلى جمع من العلماء العرب ، بالإضافة إلى الخليل والليث .

هذا هو الحد التعريفى الأدنى لـ« كتاب العين » ، ولكن ، ألا يسعنا الوصول إلى حد تعريفى أعلى ، بعد مطالعتنا الناجزة لأجزائه الثمانية المطبوعة ؟ فمثل هذا الحد يقصر مشكلة المعجم فى فترة زمنية لا تتعدى الثمانين عاماً (بين وفاة الخليل ووصول النسخة إلى البصرة) ، وفى عدد من العلماء إلى جانب الخليل والليث . ولكن ألا نقوى على تعيين أدقّ للفترة الزمنية ، ولمشاركات العلماء فى صياغته ؟ هل يمكننا تعيين زمن تأليف « كتاب العين » ؟

٦ - (أ) زمن التأليف

إن طرح هذا السؤال قد يثير المشكلة تعقيداً : كيف لنا أن نعرف هذا الزمن إذا كنا مختلفين حول ظروف تأليف الكتاب أساسا ؟ ! قد لا نقوى على الإجابة الأكيدة فى هذا الشأن ، إلا أننا وقعنا فى « كتاب العين » على مؤشر زمنى يستحسن التوقف عنده ، وهو التالى : « باب الغين والكاف : وهو مهمل إلا الكاغد وهى خراسانية » (ص٤/٣٥٦) . المؤشر لافت فى قيمته ، ذلك أنه لا يعين لنا ورود هذه العبارة وشيوعها فى «خراسان» وحسب ، بل يشير أيضاً إلى أمر أهم ، وهو أنه يعين لنا معرفة أهل خراسان بالورق . كما نقع فى مادة « ورق » على المعطيات اللغوية التالية : « الوَرَق : أَدَمٌ رقاقٌ ، منها ورق المصاحف ، والواحدة من كل هذا ورقة . والوراقة : صَنعة الوراق » (ص ٥/ ٢٠٩) . وهذه المادة اللغوية لافتة هى الأخرى فى قيمتها ، إذ تعين لنا وجود عبارة عربية لتسمية حوامل الكتابة ، لاسيما المصاحف منها ، ما يفيدنا فى تبين معرفة المسلمين ، لا فى

خـراسان وحـدها بل فى المناطق الـعربيـة أيضـــاً ، بالـورق . مـاذا تـفـيـــدنا هذه المعطيات ؟

إنها تعـرض لنا معرفـة قابلة للتعـيين التـاريخى ، ذلك أنه ما أُتيـح للمسلمـين التعـرف إلى مادة «الكـاغد» وصناعـته فى بلدانهم قـبل سنة ١٣٤ هـ ، إثر الواقـعـة الحربيـة التى جرت بين العرب بقـيادة زياد ابن صـالح وبين أمـراء التـرك وحلفـائهم الصـينيين على ضـفاف نهـر طراز ، كمـا أفادت المراجع العربية والصينية . ففى هذه الواقعة وقع عدد من الأسرى الصينيين فى أيدى العرب ، وجىء بهم إلى «سـمرقند» حيث عملوا فى صناعة « الكواغيد » على ما أفادنا صـاحب « المسالك والممالك » ، «ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند ، فعم خبرها والارتفاق بها جميع البلدان فى الآفاق » . غيـر أن صناعة الورق وخـلافه لم تقتـصر على سمرقـند بل تعدتها ، مع قيـام العهد العباسى ، إلى بغداد وغيرها ، حيث أقام فيها أحد البرامكة أول معمل لصنع الورق. إن ورود هذه المعلومات فى «كـتاب العين» يقودنـا إلى القول ، إلى تقـديم الفرضـية التـالية : جـرى تأليف هذا المـعجم حـتى جـزئيـه الـرابع والخـامس على الأقل بعـد سنة ١٣٤ للهجرة على الأرجح .

٦ - (ب) نسبة الكتاب

ولكن لنعد إلى الموضـوع الأساسى ، موضـوع نسبة الكتـاب إلى الخليل . فلقد تنـاولت « كـتـاب العـين » كـمـا أسـلفنا القـول ، شكوك تتصل فى نسـبتـه : أهو للخلـيل وحـده ؟ أم لـلخليل مع الـليث بهـدى من الخليل وتوجـيـهـه ؟ أم لليث وحده ، أو جمع من العلماء ؟ هل وجـدنا فى الطـبـعـة المحـقـقـة مـن المعطيـات مـا يساعدنا فى مسعانا هذا ؟

تتعدد الروايات حول نسبة الكتاب :

- **فمنهم** من نفى صلة الخليل به تماماً مـثل ابن جنى (-٣٩٢ هـ) الذى قـال : « وإن كان للخليل فيها عمل ، فإنما هو أنه أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولـم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره » (١) ؛

---

(١) فى « الخصائص » ص ٣/٢٨٨ .

- ومنهم من قال إن الخليل وضع رسم الكتاب من دون حشوه بسبب الموت الذى عاجله ، فأكمل الليث الكتاب ، وقد ورد خبر هذا الزعم فى الرواية التالية: قال ثعلب (- ٢٩١ هـ) : « إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه » (١) ؛

- ومنهم من قال إن الخليل وضع قسماً من الكتاب ، ثم ما لبث الليث أن أكمله : قال الأزهرى (- ٣٧٠ هـ) : « ولم أر خلافاً بين اللغويين فى أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب » (٢) ، ولهذه الرواية صيغة أخرى ، بل « طريفة » ساقها ابن المعتز (- ٢٩٦ هـ) ، وتفيد أن زوجة الليث غارت من جارية اشتراها ، فأغاظته بإحراق نسخة العين الوحيدة التى كانت بحوزته ، « فاستدرك النصف من حفظه ، وجمع على النصف الباقى علماء أهل زمانه (٣) ؛

- ومنهم أيضاً من أكد نسبة هذا الكتاب للخليل ، مثل ابن دريد (-٣٢١هـ) : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى رضوان الله عليه كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنَّى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد » (٤) . فما يمكننا أن نقول فى أمر هذه النسبة ؟

قلة من العلماء أخذت بموقف ابن جنى ، الذى قصر دور الخليل فى وضع « كتاب العين » على دور «إيماء » . ماذا يعنى الإيماء فى هذه الحالة ؟ أليس هو صيغة أكثر تخفيفاً مما هى عليه الصيغة الأخرى التى تقول بوجود فارق بين « رسم » المعجم « الذى خطه الخليل » و « حشوه » (الذى وضعه الليث) ؟ ما نتبينه واقعاً فى هذه الصيغ المختلفة هو أنها ليست سوى « تقديرات ظنية » ، بل . . . روائية أحياناً مع ابن المعتز . يعود السبب الأساسى لاختلاف العلماء فى أمر نسبته إلى وصول الكتاب « المتأخر » إلى

---

(١) فى « مراتب النحويين » ، ص /٥٧ .
(٢) فى « تهذيب اللغة » ، ص ١/٢٨ .
(٣) فى « المزهر » للسيوطى ، صى ١/٣٩ .
(٤) فى « الجمهرة » ، ص ١/٣ .

البصرة ، ما أثار الشكوك حوله ، وما منع بالتالى من توفر « شهادات » تؤكد أو تنفى، أى تجلب ما يفيد من الأخبار والمعلومات عن وضع الكتاب . وأدى هذا الوصول المتأخر إلى إحداث البلبلة من جهة، والى فتح باب الاجتهادات من جهة ثانية . ولكن ألا توجد « شهادات » مجايلة للخليل أو لليث نفسه تؤكد أو تنفى أو تصحح هذه الصيغ أو بعضها ؟

وصلت نسخة « العين » إلى البصرة فى ٢٤٨ هـ . كما أسلفنا القول ، أى بعد وفاة الخليل والليث . إلا أن هذا لا يعنى أن مجايلى الخليل أو عدداً من تلامذته لم يعرفوا هذا الكتاب. أفاد ابن النديم عن أبى بكر بن دريد أنه « كان سمع بهذا الكتاب » (١) قبل وصوله إلى البصرة ، وأنه كان موجوداً فى « خراسان فى خزائن الطاهريين » . إلى هذا ، ورد فى « الفهرست » أيضاً خبر مفاده أن النضر ابن شميل (-٢٠٣ هـ) وضع كتاباً موسوماً « المدخل إلى كتاب العين » (٢) .

إلا أن الأخبار متضاربة حول النضر ، فهو أنكر فى حديث مروى عنه معرفته بـ«كتاب العين » : سُئِلَ عنه فأنكره « فقيل له : لعله ألفه بعدك ، فقال : أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل » (٣) . فكيف وضع مدخلاً لكتاب أنكره ؟ نميل إلى القول ، بعد الأستاذ محمد حسين آل ياسين ، بأن الخبر الأخير المروى عن النضر مختلق تماماً : « فكيف يسأل عن كتاب لاعلم لأحد به حتى ذلك التاريخ؟»(٤). ولعل النضر عرف بوجوده حين أقام فى خراسان ، وفى مرو ، حتى مات فيها فى ٢٠٣ هـ .

تناولت الشكوك النسخة التى وصلت البصرة ، من دون أن يقوى أحد من تلاميذ الخليل أو من مجالسيه - فيما عدا النضر بن شميل على الأرجح - على التدخل فى هذا الجدال : وصلت النسخة فى ٢٤٨ هـ، وتوفى سيبويه فى ١٨٠ هـ، ومؤرج فى ١٩٥هـ، والأخفش فى ٢١٥ هـ

---

(١) فى « الفهرست » لابن النديم ، ص ٦٤ .

(٢) م . ن . ، ص ٥٨ ؛ وورد خبره أيضاً فى « معجم الأدباء » ١٩/ ٢٤٣ .

(٣) فى « معجم الأدباء » ، ص ١٧/ ٥١ .

(٤) فى كتابه « الدراسات اللغوية عند العرب » ، ص ٢٣٨ .

ألا تجلب إلينا طبعة « العين » المحققة شيئا من الإجابة على هذا السؤال ؟

٦ - (ج) أسانيد « كتاب العين »

بدا لنا مفيداً التوقف أمام « الأسانيد » التى يعود إليها الخليل ، والواردة فى الطبعة المحققة ، للتأكد منها (خاصة وأن الشكوك طاولتها فى بعض الأحيان) ، وتبين قيمتها ، وتعيين جهد الخليل بالتالى فى التاريخ اللغوى والمعجمى العربى . ماذا عن مراجعه اللغوية ؟ عمن أخذ ؟ لايتأخر الخليل فى غير موضع من معجمه عن الإشارة إلى أنه هو الذى جمع وقيد هذا المعنى أو ذاك ، أو يفيد ، على سبيل المثال ، أن هذا المعنى يرد فى كلام «العامة» أو ينفى أحياناً ما لم يبلغه : « (. . .) لم أسمع منه فعلاً » ، أو يورد أقوالاً مما كان يسمعه فى البصرة ، أو ما جمعه من بوادى الحجاز ونجد وتهامة [1] .

إلى هذا يتضمن المعجم فى غير موضع من متن التعريفات أقوالاً أو أسانيد لغوية لعدد من الخلفاء والصحابة مثل : عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وزيد ابن ثابت والحجاج بن يوسف وخالد ابن صفوان وغيرهم . أو يعود إلى تفسيرات أو تعاليل لغوية أو معجمية للغويين ومفسرين مجايلين أو سابقين له مثل أبى الدقيش والحسن البصرى ومالك ابن نويرة ونصر بن سيار وابن عباس وأبو هريرة وأبو بكر بن سيرين وأبى عمرو بن العلاء وسيبويه والأصمعى وغيرهم .

إذا كنا نتبين فى قائمة الأسماء هذه عدداً من اللغويين المعروفين ما لا نحتاج للتعريف بهم ، مثل ابن عباس ، أول المفسرين ، وأبى عمرو بن العلاء (٦٨- ١٥٥هـ.) ونصر بن سيار (والد الليث) وغيرهم ، فإننا نقع على عدد من الأعراب ممن أخذ عنهم الخليل أو غيره ، سواء أكانوا فى البصرة أو خارجها [2] . من هؤلاء الأعراب نتعرف إلى :

---

(١) : سماع الخليل عن الأعراب :

« لم أسمع له فعلاً » (٣/ ٣٩٢) ؛ « والعبارة نفسها فى (٣/ ٣٩٣) وقد سمعناهم يقولون : نَعسان ونعسى ، حملوه على وَسنان ووَسنى ، وربما حملوا الشئ على نظائره ، وأحسن ما يكون ذلك فى الشعر » (٣/ ٣٣٨) ؛ وسمعتُ أهل البصرة يُخطئون من يقول الجهاز بالكسر » (٣/ ٣٨٥) ؛ « وسمعنا من فصحاء العرب من قول : . . . . . » (٢/ ٢٢٤) ؛ « قال الخليل : سمعتُ كلمة شنعاء لا تجوزُ فى التأليف الرباعى . سُئِلَ أعرابى عن ناقته فقال : تركتُها ترعى العُهعُخ ، فسألنا الثقاة من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب . وقال القَذُّ نهم : هى شجرةٌ يُتداوى بورقها ، وقال أعرابى : إنما هو الخُعخُعُ ، وهذا موافق لقياس العربية » (٢/ ٢٧٤) ؛ « . . إنما الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل . . . » (٣/ ٢٣٤) ؛ « رأيتُ يمانياً سُئِلَ عن هجائه فقال : . . . » ٨/ ٤٢١) وغيرها .

(٢) : علماء اللغة والأعراب الرواة فى « كتاب العين » :

- ابن سيرين : ٧/ ٢٣ وغيرها .
- ابن عباس : ٣/ ١٦٨ ، ٤/ ٦٢ وغيرها .
- ابن القرية : ٢/ ٧٤ ؛ ٦/ ٢٤ وغيرها .
- ابن مسعود (القارئ) : ٥/ ١٩٢ وغيرها .

. . . . . .

= - أبو خيرة : ٢/ ٨٤ ؛ ٢/ ٢٥٠ ؛ ٣/ ٣١٦ ، ٥/ ٢٣٤ ؛ ٨/ ٢٦٨ وغيرها .

- أبو الدقيش : ١/ ٣٣١ ؛ ١/ ٢٨٨ ؛ ٢/ ١٨١ ؛ ٢/ ٢٥٠ ؛ ٢/ ٢٧٢ ؛ ٢/ ٣٠٩ ؛ ٣/ ٣٨ ؛ ٣/ ١٥١ ؛ ٣/ ٣٠٩ ؛ ٣/ ٣١٦ ؛ ٣/ ٤١١ ؛

« قال الخليل لأبى الدقيش . . . » (٣/ ٣٥٢) ؛ يقول أبو الدقيش : « كلمة لم أسمعها من أحد » (٤/ ٩٣) ؛ « سمعتُ أبا الدقيش يقول : . . . » (٤/ ١٢٢) ؛ « سألتُ أبا الدقيش عن . . . » (٣/ ٢٧٧) ؛ « حكاه لنا أبو الدُّقيش ، فلبسَ كساءً له ، ثم جلسَ جُلوسَ العَروس ، على المنصة ، وقال : هكذا يُكْمِخُ من البَأوِ والعظمة . قال ﴿ العجاج ، ديوانه ، ص ٤٦٠ و ٤٦١ ﴾ :

إذا آزدَها هُمُّ يَومُ هَيجا أكمخوا .

باواً ومَدَّتهم جبالٌ شُمَّخُ » (٤/ ١٥٧) ؛

« قال : من مائة رَلَخٍ بمرِّيخٍ غالُ

وسألتُ أبا الدقيش عن هذا البيت بعينه فقال : الزَّلَخُ أقصى غاية المغالى » (٤/ ٢٠٩) ؛ « قلتُ لأبى الدقيش : ما الدَّقش والدُّقيش ؟ . . . » (٥/ ٣٤) ؛ « هكذا أخبرنيه أبو الدقيش » (٥/ ٨٣) ؛ « سألتُ أبا الدقيش عن قول أبى داود . . . » (٥/ ٨٥) ؛ « قال أبو الدقيش تزوجت جاريةً شابةً فلم يكن عندى شئ فركضت برجليها على صدرى ثم قالت : ياشيخ ما أرجو بك ، أى : ما أرجو منك » (٥/ ٣٠١) ؛ « قال أبو الدقيش : كان يكون بفناء كلِّ حىٍّ دُكانٌ عليه المأكلُ والمشرَبُ ، فذلك الطلل ، قال جميل ﴿ ديوانه ، ص ١٨٨ ﴾ :

رَسْمُ دارٍ وقفت فى طلله كدتُ أقضى الغَداةَ من جَلَله »

(٤/ ٤٠٤ و ٤٠٥)؛ ٥/ ٢٣١؛ ٥/ ٢٣٤ ؛ ٤/ ٤٢٣ ؛ ٥/ ٢٦٤؛ ٥/ ٣٢٢ ؛ ٦/ ٣ ؛ ٦/ ٤٣؛ ٦/ ٨٢؛ ٦/ ١١٢؛ ٦/ ٢١٦؛ ٦/ ٢٣٩ ؛ ٦/ ٢٩٩ ؛ ٧/ ٢٨٨ ؛ ٧/ ٢٩٧ ؛ ٧/ ٤٢٢ ؛ ٨/ ١٥٩؛ ٨/ ٢٩٦؛ ٨/ ٣٠٥ ؛ ٨/ ٤١٣ وغيرها .

- أبو سعيد : ١/ ٩٨ ؛ ١/ ١٠٩ ؛ ١/ ١٩٤ ؛ ١/ ١٩٢ ؛ ١/ ٢٩٥ ؛ ٦/ ٢٧ ؛ ٦/ ٢٨ وغيرها .

- أبو عبد الله : ١/ ٣٠٦ ؛ ٢/ ١٠ ؛ ٢/ ١٢٤ ؛ ٢/ ١٨٤ وغيرها .

- أبو عبيد : ١/ ٩٨ وغيرها .

- أبو عبيدة : ٤/ ٢٤٥ « قال أبو عبيدة : كان الحسن يقرأ . . » (٥/ ٥٩) وغيرها .

- أبو عمرو : « روى عن أبى عمرو » (٢/ ٢٥٥) ؛ « روى عن أبى عمرو . . . » (٣/ ١٦٠) ؛ « قال أبو عمرو : أنشدتنى امرأة من حمير وهى تُرَقِّصُ ابنا لها . . . » (٣/ ٢٨٩) ؛ ٤/ ٢٠٤ ؛ ٧/ ٨٣ . ٧/ ١٥١ ؛ ٨/ ٨٤ وغيرها .

- أبو هريرة « قيل لأبى هريرة : أنت سمعته من رسول الله (ﷺ) فقال : فما طَهَوِى إذن ، أى فما عملى إن لم أُحكِم هذه الرواية عنه كإحكام الطاهى للطعام » (٤/ ٧٥) غيرها .

- أبو ليلى :

المجلد الأول :٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ (٣ مرات) ، ٢٧٧، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ (مرتان) ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ (مرتان) ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ (مرتان) ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، « لم يعرفه أبو ليلىٰ ولا عرام » (٣٠٥) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام (٣١١) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام » (٣١٥) ، « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » (٣٢٥) ، ٢٨٧ ،

المجلد الثانى : ٨/ ٢٧ ، ٥٩ ، ١٥٥ (مرتان) ؛ ٨/ ٣٧٩ ، ٨/ ٣٨٦ ، ٨/ ٣٩٤ وغيرها .

- الأصمعى : ١/ ١٨٥ .

- أعرابى : ١/ ١٣٥ .

- الحسن البصرى : وروى عن الحسن : « راعنا » بالتنوين وبغير التنوين » (٢/ ٢٤١) ؛ « وكان الحسن يقرأ : . . . » (٤/ ٢٢١) ؛ ٥/ ١٢٢ ؛ « وفى حديثِ الحسن . . . » (٥/ ٢٢٤) ؛ فى تفسير آية قرآنية (٥/ ٢٢٨)؛ « وكان الحسن إذ سُئلَ فى فَريضة . . » (٥/ ٢٩٤) ؛ « وفى حديث الحسن . » ٧ / ١٦٢؛ =

= ٦/ ١٥٤ ؛ ٥/ ٣١٣ ؛ ٥/ ٣٢٨ ؛ ٦/ ١٨٠ ؛ ٦/ ٢٧٢ ؛ ٧/ ١٠٤ ؛ ٧/ ١١٠ ؛ ٧/ ٢٢٥ ؛ « روُى عن الحسن أنه قال . . » (٨/ ١٨) ؛ « وفى مواعظ الحسن . . . » (٨/ ٣٣٨) ؛ ٨/ ١٢٨ ؛ ٨/ ٢٧٧ ؛ ٨/ ٣١٧ وغيرها .
- حماس : ١/ ٣٦٧ « قال حماس وأرويه أيضاً » (٢/ ٤٠) ؛ ٢/ ٥٧ ؛ « الشَّثُّ: شجرٌ طيبُ الريح مرُّ الطعم ، ينبتُ فى جبال الغَور ونجد ، قاله أبو الدقيش . . قال حماس : الشث لا ينبت فى نجد » (٦/ ٢١٦) ؛ ٦/ ٢٥١ ؛ ٦/ ٢٨٠ ؛ ٦/ ٢٨٤ ؛ ٨/ ٣٦٨ وغيرها .
- الراجز : ١/ ٦٦ وغيرها .
- رافع : ٢/ ١٠٩ .
- زائدة :
المجلد الأول : ٨٩ ، ٩٣ (مرتان) ، ٩٧ (مرتان) ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ (مرتان) ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ١٤١ ؛ ٢/ ٣١٤، ٣٣٤ ، « قال زائدة : البُلعوم باطنُ العُنق كله ، وليس كما قال » (٢/ ٣٤١) ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ؛ ٣/ ٩٦ ، ١١٥ ،
المجلد السادس : ١٢,٢٣,٢٦ ، ٢٧,٢٨,٣٣ (مرتان) ؛ ٣٤ (مرتان) ٣٨ ، ٦/ ٤٦ ، ٨٩ ، ٩٢ . ٩٤,١٠٠,١٠٥ ، ١٠٧,١١١ ١٤٠,١٤٥,١٥٨ ، ٧/ ١٩٥ . وغيرها .
- زيد بن ثابت : « كنت أجمع القرآن من اللخاف وصدور الرجال » (٤/ ٢٦٥) ؛
- الساجع : ١/ ٦٦ ؛ ٢/ ٩٥ ؛ ٢/ ٢٦٦ ؛ ٨/ ٣١٩ وغيرها .
- سيبويه : ١/ ٢٠٠ .
- شجاع : ١/ ٣٥٣ ؛ ١/ ٣٠٣ ؛ « لا أعرفه ولكن أعرف . . » (٢/ ١٢٢) ؛ ٢/ ١٣٤ ؛ ٢/ ١٣٧ ؛ ٢/ ١٤٩ (مرتان) ؛ ٢/ ٣٢٧ وغيرها .
- شريح : ٦/ ١٤٤ ؛ ٧/ ١٤٧ وغيرها .
- الضرير :
المجلد الأول ٩٧، ١٤٥، ١٩٩ ، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٦ (مرتان) ، ٢٧٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٦،
المجلد الثالث : ٢٨,٩٢,,٢٧٤ ؛
المجلد الرابع : ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، « سمعتُ أبا عمرو يقول . . » (٤/ ٤٢١) ؛ ٤/ ٤٢٤ ،
المجلد الخامس : ٥/ ٢٧٣ ، ٥/ ٣٣٠ ، ٥/ ٣٦٩ ،
المجلد السادس : ٦/ ٢٩ ، ٦/ ٧٢ ، ٦/ ٢٩٨ . ؛
المجلد السابع : ٧/ ٢٧ ، ٧/ ٣٨١ .
- عبد الله (راوية) : ٢/ ٢٠٦ ،
- عرام السُّلمى :
المجلد الأول ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٨، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٣١ (مرتان) ، ٢٥٤ ، ٢٥٦,٢٦٧ (٣ مرات) ٢٨١,٢٨٢,٢٨٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨، ٣٣١ ، « لم يعرفه عرام ولم ينكره » (٣٠٦ - ٤ مرات) ، « وروى عرام : ٣٠٨,٠٠٠) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام » (٣١١) ، « لم يعرفه أبو ليلى وعرفه عرام » (٣١٥) ، « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » (٣٢٥) ، « إلا أن عراماً ذكر أنه سمعه من أبى ذؤيب » (٣٤٤) ؛ ١٣٩ ، ٢٨٦,٣٣٧ ،
المجلد الثانى : ٥٩,٢٧٥,٢٧٧,٢٧٨ (مرتان) ، ٢٨٠,٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ،
- القاسم (شارح الشعر أحيانا) : ٤/ ٤٢٤ ، ٥/ ١٩٠ ، ٥/ ١٩٢ ، ٥/ ٢٠٧ ، ٦/ ٥٣ .
- القبيبى : ٧/ ١٤٧ .
- الليث : « سمعتُ هاتين بخراسان . . » (٣/ ٣٢) وغيرها .
- مبتكر الأعرابى : ١/ ١٣٩ ، ١/ ١٤٩ ، ١/ ٢٣٢ ، ٦/ ١٤٣ .
- مزاحم : ١/ ٣٥٢ ، ٢/ ٣٤٧ ، ٦/ ٣٩ ، ٦/ ٥٦ ، ٦/ ٦١ ، ٨/ ١١٨ .
- مقاتل : ٥/ ٢٢٨ ؛ ٥/ ٣١٣ .
- موسى : ١/ ٢٨٤ ؛ ٢/ ١٩ .
- نصر بن سيار : ٣/ ٢١٥ ، ٦/ ٢١٩ ، ٨/ ٣١٥ .

- أبى الدقيش ، وقد ذكره الخليل فى مواضع عدة من معجمه ويورد عنه فى مادة « دقش » تفسيراً للقبه : « قلتُ لأبى الدقيش: ما الدَّقشُ والدُّقَيش ؟ قال: لا أدرى . قلت فاكتنيتَ بكنية لا تدرى؟ قال : إنما الكُنى والأسماء علامات من شاء تسمى بما شاء لا قياس ولا حتم » . وهو أبو الدقيش القنانى الغنوى ، من قدماء رواة البصرة ، أخذ عنه النضر ابن شميل وغيره ، ولعله شاخ فى أيام زيد وأصحابه ، إذ يقول:« دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أجد ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجد، ولقد أصبحتُ فى شرِّ زمان ، وشرِّ أناس ، من أجادَ لم يجد،ومن وَجَدَ لم يَجُد » (١) .

- أبو خيرة الأعرابى ، وهو نهشل ابن زيد العدوى : نزل الحيرة ، وعاد إليه عدد من علماء اللغة ، ويعد مع أبى الدقيش والمنتجع وأبى مهدية (أبو مهدى ، فى بعض المصادر) من أوائل الأعراب وأشهرهم وأوثقهم فى البصرة . وله كتاب « الحشرات » الذى نقل عنه وذكره ابن سيده فى « المخصص » وكتاب «الصفات» الذى ذكره أحمد بن محمد أبو حامد الخرزنجى البشتى ضمن مراجعه فى كتاب « التكملة » الذى أومأ إلى أنه أكمل به « كتاب العين » ؛ وله أحاديث فى طيور البادية . وأخباره واردة فى غير كتاب قديم ، لاسيما احتكام عدد من العلماء له مثل أبى عمرو بن العلاء (٢).

---

(١) : فى « عيون الأخبار » ، ص ٣/ ٤٩ .

وذكرابن النديم أبا الدقيش فى « الفهرست » بالسين ونقع على شواهده فى « مقاييس اللغة » أو«لسان العرب» أو«المزهر».

(٢) : فى « نزهة الألبا » ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛ و « المخصص ، ص ٨/ ٩١ ؛ و « نوادر أبى زيد » ، ص ١٣٢ ؛ و « إنباه الرواة » ، ص ١/ ١٠٨ ؛ و « الخصائص » ، ص ٣/ ٣٠٥ وغيرها لا سيما فى المعاجم مثل «مقاييس اللغة » و« لسان العرب ».

- أبو سعيد الضرير ، وهو أحمد ابن خالد البغدادى ، وقد تأدب على عوسجة الذى استقدمه عبد الله بن طاهر حسبما وردت أخباره فى «معجم الأدباء» .

إلا أننا نقع على عدد واسع من الأسماء مما لا نحسن التعرف إليهم فى صورة مؤكدة :

- عرام : أهو عرام بن أصبغ السلمى ، الذى ذكره القفطى على أنه من الأعراب الذين استقدمهم عبد الله ابن طاهر إلى نيسابور ، فى « معجم الأدباء»، وواضع كتاب « أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه » [1] ؟ لا نقوى جواباً عن هذا السؤال ، ذلك أن الكتب القديمة تفيدنا عن نحوى اسمه «عرام» أيضاً ، وهو أبو الفضل العباس بن محمد. إلا أن عدداً من الباحثين المحدثين، ممن درسوا «كتاب العين» مثل الشالقانى وياسين وغيرهما ، يميل إلى الاعتقاد بأن المقصود هو الأعرابى .

- مبتكر : أهو مبتكر الأعرابى الذى سكن خراسان ، على حسب ما ورد فى كتاب « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » للباحث ياسين ؟ [2]

---

(١) ورد خبره فى « معجم الأدباء » (٣/١٧) ، وواضع كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من الأشجار ومافيها من المياه » ، الذى حققه الأستاذ عبد السلام هارون فى نطاق «نوادر المخطوطات» فى سنة ١٩٥٦ .

(٢) ص ٧٦ ، ويشتمل الكتاب على مسرد بأسماء الأعراب الفصحاء الذين شافههم العلماء وأخذوا عنهم مروياتهم .

- أبو ليلى : أهو أبو ليلى الذى سكن فى خراسان بدوره [1] ؟

- حماس : أهو الوارد فى مسرد الأعراب الذى أعده الباحث ياسين [2]

- موسى : أهو موسى السيلانى ، المعاصر لأنس بن مالك ، على حسب ما ورد ذلك فى كتاب « الأعراب الرواة » للشالقانى [3] ؟

شجاع : أهو شجاع بن وهب ابن ربيعة الأسدى ، وهو من رواة أبى عمرو بن العلاء [4] ؟

- حذيفة : أهو حذيفة بن غانم ، أبو الجهم ، الصحابى وأحد كبار نسابى قريش ؟

وماذا عن غيرهم مثل : أبى عبدالله والقاسم وأبى فردة والسدى ومزاحم وشريح والساجع وزائدة وغيرهم ؟

علينا أن نؤكد ، بداية ، أن وقوف عدد من الباحثين القدامى والمحدثين أمام مسألة ورود شواهد وتعاليل من تلاميذ الخليل، مثل الأصمعى وسيبويه وأبى عبيدة ليس مقنعاً كفاية قيل الكثير عن سيبويه على حين لا نلقى غير شاهد واحد من أقواله فى الطبعة المحققة ، وذلك فى الصفحة ٢٠٠ من الجزء الأول ، وهى النبذة التالية : « قال سيبويه : الكراع الماء الذى يكرع فيه » . أما النقول عن الأصمعى فهى لا تتعدى المرة الواحدة أيضاً ، فى الصفحة ١٨٥ من الجزء الأول ،وهى النبذة التالية: « قال الأصمعى : يقال : عَقَمَ الله رَحِمَها عَقماً ولا يُقال : أعقمها ، ويقال : عَقُمت المرأة تعقمُ عقماً » . أما النقول عن أبى عبيدة فهى تردُ مرتين (٤/ ٢٤٥، و ٥/ ٥٩) ، وفى واحدة منها نقلاً عن الحسن البصرى . ان هذه النقول - القليلة فى نهاية المطاف - تحصل بين أستاذ وتلاميذه ، وهو أمر استغربه العديدون ، ناسين من دون شك أننا نقع فى كتب القدماء ، كما فى « مجالس العلماء » للزجاجى ، على مناظرات بين الأستاذ وتلميذه ، مثل التى جرت بين الخليل وسيبويه وغيرهما [5] . كما ينسون أيضاً

---

(١) م . ن ، ص ٧٣ .

(٢) م . ن ، ص ٧٤ .

(٣). من تأليف الدكتور عبد الحميد الشلقانى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٦٣ . .

(٤) حسب ما ورد ذلك فى كتاب « النشر فى القراءات العشر » ، ص ١/ ٤٢ .

(٥) فى « مجالس العلماء » للزجاجى ، ص ٢٣١ .

أن علمـاء عـديدين ، مـثل أبى عـمـرو وغـيره ، كانوا لا يتـأخرون عن النقل عن كراريس تـلاميذهم ،سـيما وأن الـبعض منهم ،/مثل الأصمعى وأبى عـبيدة ، كان يرتب نقـوله فى كـراسات خـاصة . قـال الأصمـعى : « جئت إلـى أبـى عـمـرو ابن العـلاء ، فـقـال لى : مـن أيـن أقـبلت يـا أصـمعى ؟ قلتُ : جـئتُ من المربد . قال : هاتِ ما معك » [1] .

ولكن ، إذا لم نجد صـعوبة فى ورود هـذه النقـول فى « كتـاب العين » فإننـا لا نقف الموقف من نقول أخـرى لعدد من الأعراب ، الذيـن استقـدمهـم عـبدالله ابـن طاهر إلى نيسـابور ، ومنهم عرام بن الأصـبـغ السلمـى ، أو من سكنـوا فى خراسان مثل مـبتكر ، أو من الأعراب ممن لم يعـرفوا فـى البصـرة مـثل : أبو ليلى وزائدة وحماس وغيرهم .

ما يسترعى انتـباهنا فى هذه القائمة ، بعـد أن تبـينا حقـيقـة النقول فى « كـتاب العـين » هى الأسـمـاء التاليـة : عـرام ، وأبو ليلى، وزائدة ، والضـرير. فإذا كنا نجـد فى غـيـر مجلد مـن المـعـجم نقـولاً عـن أبى الدقيش أو عن أبى خـيرة ، فهـو أمر طبيعـى إذ إنهما يعدان من أشـهر الأعراب الذين عرفوا فى عصر الخليل فى البصرة ، أما أن يتضمن المعجم نقولاً عدة من أعراب ما عـاشوا فى البـصرة ، بل فى خـراسان ونيسـابور ، فهـو أمر يسـتدعى أكـثر من سؤال . فنحن نلاحظ أن الكتاب يتـضمن نقولاً عن عـرام تزيد عن ٥٠ مرة ، وعن زائدة ما يزيد عن ٥٤ مرة ، وعن أبى ليلى ما يزيد على ٤٣ مـرة ، وعن الضرير ٣٣ مرة ؛ لا بل تعـد النقول عن هؤلاء ، إلى جانب الحـسـن البـصـرى وأبى الـدقـيش وأبى خيـرة ، أقواها فى « كتـاب العين » هل يعنى هـذا أن الخـليل شـافـهـهم فى نيسابور أو فى خـراسان ؟ لا تؤكد المصادر مـثـل هذه الرواية أبداً ، علـى الرغم من ورود خبـر فى ترجمـته عن زيارة قـام بها إلى خراسان عند تلميذه الليث .

انتـبـهنا إلى أمـر آخـر فى توزع هذه النقول ، وهى أنها لا تأتى متسقة ، فنحن نلاحظ ، على سـبيل المثـال ، أن النقـول عن الحسـن البصرى ، أو أبـى الـدقيش ، أو أبى خيرة (أى الذين عرفهم الخليل فى

---

(١) ورد الحديث فى « ضحى الإسلام » ص ٢/٨١ ، طبعة عاشرة ، بيروت ، ١٩٣٥ .

البصرة) تتـوزع فى كيفيـة « متوازنة » إذا جاز القول بين أجـزاء المعجم ، على حين ترد النقـول عن الأعـراب فى بلاد فـارس قـوية فى أجـزاء ، و معـدومة فى أجـزاء أخـرى ، لا نقع على نقـول أبى ليلى إلا فى الأجزاء: ١و٢و٨ ، وعلى نقـول عرام فى الجـزءين ١و٢ وحسـب . وقد يقـول قائـل : أن هذه الأجزاء (كمـا رردت فى الطبـعة المحـققـة) قد لا تناسب التـوزيع القـديم لأجـزاء المعـجم. ربما ، إلا ان التقـارب بين المواد التى وردت فيهـا نقول الأعرابيين أكيـد فى كل الأحوال ، خـاصة وأن تتـالى المـواد فى المعجم (مهـما جرى تقـسـيـمه) يخـضع لـ « تـقليب » ثابت ومعروف . هل يعكس هذا التـقـارب شيئاً من ظروف تأليف هذا المعـجم ؟ هل نجـد فى هذا التـقـارب إجابـة ما على حـيـرة العلمـاء أمـام ورود نقـول عن أعـراب لم يعرفهم الخليل ولم يشافههم ؟

فلليث « شـهادة » قلمـا انتبـه إليهـا الدارسون ، وهى جديرة بأن تحضر فى هذا السـجال ، بالإضـافة إلى كـونها تقـدم – على ما نعتقد – تفسيراً معقولاً للمصاعب التى عرفـها « كتـاب العين » لاحـقاً عند العلماء والدارسين . فما الشهادة هذه ؟

غـير مصـدر قـديم يـفيدنا عـن صـلة « الصحبـة » التى جمعت الخليل بالليث ، كما يفيدنا التلميذ فى شهادته هذه شيئاً من الأسـبـاب التى أدت إلى وضع الخـليل لكتابـه: يقول الليث : « كنت أصـير إلى الخليل بن أحمد ، فـقال لى يوماً : لو أن إنسانـاً قصد وألف حـروف ألف وباء وتاء وثاء على مـا أمثله ، لاستـوعب فى ذلك جـميع كـلام العرب ، فـتـهيـأ لـه أصـل لايخـرج عـنه شىء منه بتة ، قال : فقلت له : وكـيف يكون ذلك ؟ قـال : يؤلفـه على الـثنائى ، والثـلاثى ، والـرباعى ، والخماسى ، وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه ، قال الليث : فجـعلتُ أستفهمه ويصف لـى ولا أقفُ على مـا يصف ، فـاختلفت إليـه فى هذا المعنى أيامـاً ، ثم اعتلَّ ، وحججت فما زلت مشفقاً عليه ، وخشيت أن يموت فى علتـه فيبطل ما كان

يشرحه لي، فرجعت من الحج ، وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب » . كما يصف الليث ، على ما أفادنا ابن النديم أيضاً طريقة الخليل في وضع معجمه : « فكان يملي عليّ ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سَل عنه فإذا صح فأثبته ، إلى أن عملتُ الكتاب » [1] .

في رواية الليث معطيات عدة ، لا تفيد وحسب عن « الأصل » النظرى الذى أنشأ عليه الخليل معجمه ، بل عن ملابسات وضعه وشروط تأليفه أيضاً : وضع الخليل خطة المعجم كما أملى على الليث ما حفظه وعرفه في مواد الكتاب ، وما « شك فيه » دعا الليث إلى أن « يسأل » عنه و « يثبته » ألا تكون « الزوائد » (أى النقول التى تعود لأعراب ما عرفهم الخليل وما شافههم) من عمل الليث نفسه ، بإشارة من الخليل ، بعد أن قُيض لليث معرفتهم واللقاء بهم في نيسابور وخراسان ؟

ربما ، هذا ما نميل إلى ترجيحه ، لاسيما وأن المعجم يجمع في غير مادة من مواده ما يؤكد أو ما يعزز مثل هذه الفرضية . ففي غير مادة نراه يجمع بين عرام وأبى ليلى ، المقيمين في بلاد فارس : « لم يعرفه (أى هذا اللفظ أو هذا المعنى) أبو ليلى ، وعرفه عرام »، أو « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » . كما لو أن أحداً - أى الليث على الأرجح يقترح عليهما ألفاظاً لـ «التثبت» منها ، وفي الوقت عينه .

كما نقع أحياناً على « تصحيح » يؤرده زائدة ، على سبيل المثال ، فيؤكد مثلاً : « قال زائدة : البُلعوم باطنُ العنق كله ، وليس كما قال » ، أى « يصحح » ما سبق ذكره في مادة « بلعم » نفسها ، وهو التالى : « البلعوم : البياض الذى في جحفلة الحمار في طرف الأنف » . كما لو أن الليث عرض على زائدة ما سبق له أن جمعه ، أى أنه كان « يتثبت » من المعانى كيف لا ، ونحن نجد في المعجم أيضاً إضافات تحقق منها الليث نفسه ، حيث يقول في إحدى المواد على سبيل المثال : « قال الليث : سمعت هاتين بخراسان . . . »، كما نقع في المعجم على

---

(١) في الفهرست ، ص ٦٤ - ٦٥ .

إشارات عـدة ولو مقـتضـبة تفـيد عمـلية «التـثبت» هذه : « رأيتـهم يحكون ذلك » «هذا مـا سـمعت» ، إلى غـيـر ذلك من العبـارات التى تقدم لنا فى صـورة خفـية ولكن أكيدة الليث : التلميذ العالم فى آن، والوفى للخليل على أية حال . كما لو أن الليث كان وحده « فريق عـمل معجمى » بتوجيـه وإدارة الخليل ! وكما لو أن الخليل لم يتـوصل إلى وضع أول طريقـة علميـة محكمة لـوضـع المعاجـم (وهى نظـرية « التقليب ») فى تاريخ اللغات وحسب ، بل تنبه أيضاً إلى ضرورة وضع المعاجم من قبل فريق عمل ، لا من عـالم واحد مهما بلغ شأوه .

« شـهادة » الليـث تفيـد ، إذن ، أن الكتـاب مـن وضع الخليل فـى رسـمـه وحـشوه (عـلى أن قـسـماً مـن حشـوه مـاجـرى « إثبـاته » فى المعـجم إلا بعـد تثـبت الليث منه عـند العلمـاء) . ونحن نوردها متسائلين : إذا لم تكن رواية الليث هذه صحـيحـة ، فلماذا ينسب إلى غـيره (الخليل) ما قام به ، ولو جـزئياً ؟ أما كان له أن يتفاخـر بهذا الصنيع النادر فى تاريخ اللغة العربية ؟

إذا كانت ملابسـات صنع هذا المعجم لم تتسـم بالجلاء الناجز - وهـى حالة كل كتب الخليل من دون استثناء ، وغيرها من الكتب القديمة أيضاً - فإن هذا لا يخفى، بل يقوى من حقيـقة السعى ، بل الطموح الذى قام عليه : وهو « إحصاء » العربية ، وفق طريقة منـهجيـة محكمة . وما كان لهذا المشـروع أن يتحـقق لولا علم الخليل الواسع فى غير ميدان ، واجـتهاده فى غير سبيل ، ولولا سهر الليـث عليه ومساعدته فى حـشو بعض مـواده . ولليث فى ذلك أكثـر من أجر ، إذ حـفظ لنا أول المعاجم العـربية ، و « الكتـاب » الوحيـد الأكيـد الذى وصلنا للخليل .

شربـل داغـر
أستاذ بجامعة بيروت

★ ★ ★ ★ ★